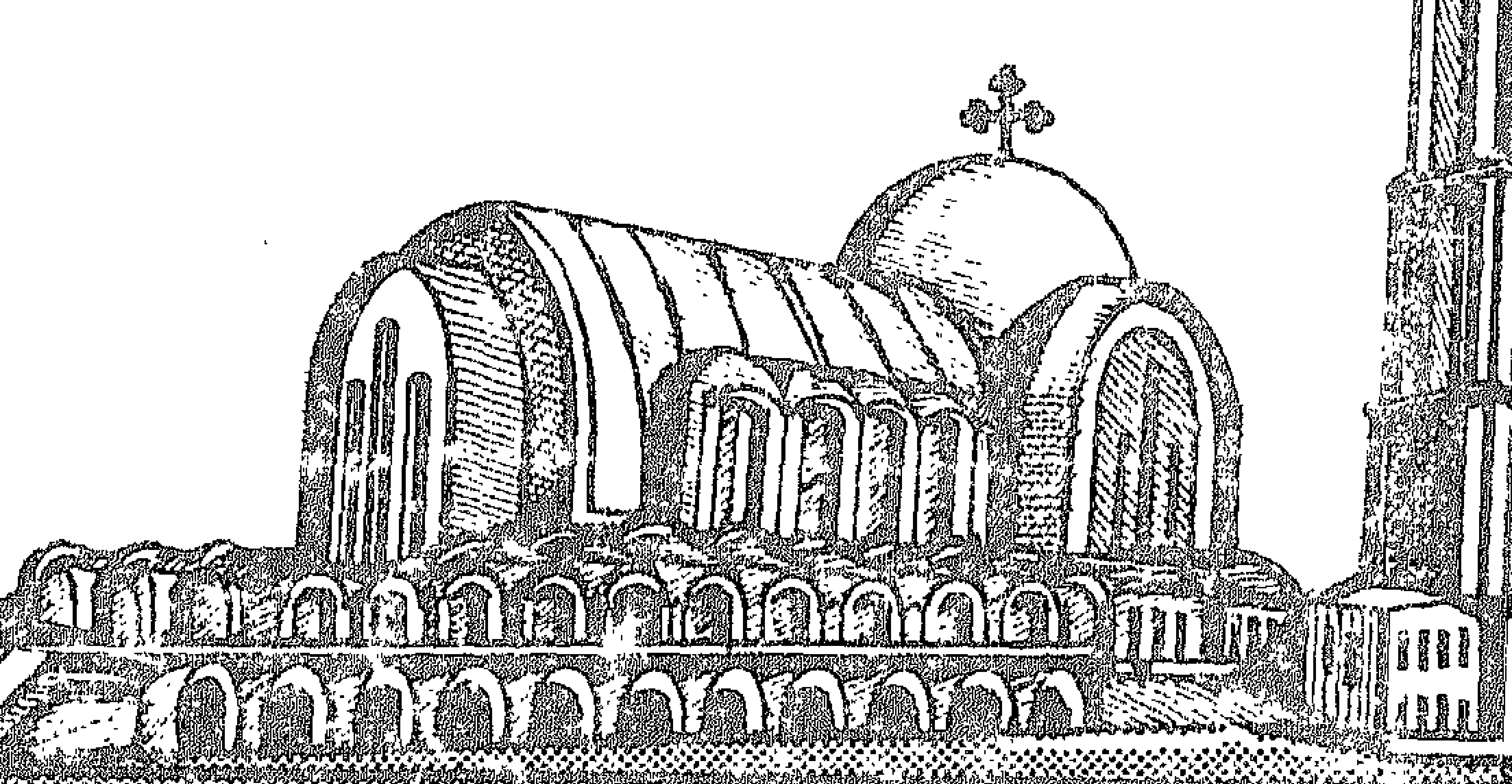
البابا شنوده الثالث



الجزء الرابع

(من ١٥١ - ٢٠٠)



اهداءات ٢٠٠٢

بطريركية الأقباط الأرثوذكس

الاسكندرية

قداسة البابا شنوده الثالث

كلمة منفعة

الجـــزء الرابـــع

(من ١٥١ - ٢٠٠)

Words Of Spiritual Benefit (4)

By
H.H. POPE SHENOUDA III

الطبعة الرابعة
يوليو ١٩٩٤
القاهـــرة

4th Print
July 1994
Cairo

الكتاب : كلمة منفعة جـ ٤ .
المؤلف : قداسة البابا شنوده الثالث .
الطبعة : **الرابعة ١٩٩٤**
المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) العباسية ـ القاهرة .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٣٢٤٠ / ١٩٨٦ م .



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

بسم الآب والابن والروح القدس
الإلـه الواحـد آمـين

تصـــــــديـــر

حينما بدأنا هذه المجموعة ، ما كنا نظن أننا سنصل إلى الجزء الرابع ، إلى ٢٠٠ كلمة منفعة . ولكن نشكر الرب الذى أكمل لنا هذه الكلمات .

إنها كلمات فى موضوعات متعددة متفرقة ، لم يُقصد بها أن تكون كتاباً مقسماً إلى أبواب وفصول . إنما هى تأملات روحية يمكنك أن تقرأها ، دون أن تتقيد بترتيب معين ...

يمكنك تجميع ما ينقصك من الأجزاء الثلاثة السابقة ، حتى تتكامل أمامك هذه المجموعة .

وإلى لقاء فى كتاب آخر إن شاء الله .

شــنوده الثالث

أول يوليو سنة ١٩٨٦ (٢٤ بؤونة)

تذكار القديس الأنبا موسى الأسود

(١٥١) التوازن

ما أكثر الذين يتجهون فى حياتهم الروحية إلى أقصى اليمين ، أو إلى أقصى اليسار، و يتأرجحون بين نقيضين...

وما أقل الذين يحفظون التوازن ، و يثبتون فيه ...

مثال ذلك ، أشخاص روحيون ، يصومون فى نسك شديد جداً خلال أسبوع الآلام. ثم بعد ذلك فى فترة الخمسين يوماً ، تنحل إرادتهم تماماً ، و يأكلون بلا ضابط. وما استفادوه فى الصوم ، يفقدونه كلية. والسبب هو عدم وجود التوازن فى حياتهم...

ونفس الوضع يعمله البعض بالنسبة إلى الصمت والكلام :

قد يسيرون فى تدريب صمت كامل ، لا يحدثون أحداً. ثم إذا ما انتهى التدريب ، يرجعون إلى الكلام بكل أخطائه وبلا حرص. والوضع السليم أن يحفظ الإنسان الروحى توازنه فى الصمت والكلام. فيعرف متى يصمت ومتى يتكلم وإن تكلم فما

هى حدوده فى كمية الكلام وفى نوعيته أيضاً ...

كذلك يحتاج الإنسان إلى توازن فى التعامل مع الناس :

فكثيرون لا يحفظون التوازن بين الوداعة والشجاعة فى حياتهم .

فقد يبالغون فى الوداعة حتى تتحول إلى ضعف وإلى ليونة فى الطبع . أو قد يبالغون فى الشجاعة حتى تتحول إلى تهور واندفاع فى غير حكمة ... والوضع السليم أن يكون الإنسان الروحى وديعاً فى شجاعته ، وشجاعاً فى وداعته ، يمزج الحكمة بهذه وتلك ...

كذلك فى التربية ، التوازن بين التدليل والعنف .

البعض يرى الحب تدليلاً ، وعطاء مستمراً بلا حكمة وبلا ضابط ، وحناناً يشجع على الاستمرار فى الأخطاء بغير مبالاة . فإن خرج عن تدليله ، قد يضرب فى عنف وفى كل ذلك لا توازن .

أما التوازن فهو فى الحزم المحب ، وفى الحب الحازم .

التوازن يحمل فى طياته الكثير من الحكمة ، إذ فيه فهم لما ينبغى أن يكون فى غير مغالاة يمينية أو يسارية .

وقد قيل من بعض الحكماء إن الفضيلة هى الوضع المتوسط

بين نقيضين ، بين افراط وتفريط .

والتوازن يساعد على الثبات ، لأن التطرف المبنى على اندفاع ، لا يمكن أن يثبت . وما أسهل أن ينقلب إلى العكس .

ابحثوا عن هذا التوازن فى كل تفاصيل حياتكم الروحية .



الذى يحب الحق ، و يدافع باستمرار عن الحق ...

ينبغى قبل أن يأخذ حق الله من الناس ، يأخذ حق الله أولاً وقبل كل شيء ، من نفسه هو.

الذى يحب الحق ، لا يجامل نفسه أبداً ، ولا يجامل أحداً من أحبائه ، على حساب الحق . لأنه يحب الحق من كل قلبه أكثر مما يحب أحداً من الناس ..

ومحب الحق، له ميزان واحد فقط، يزن به للكل. فلا يَصُفّ عن البعوضة لأحد، ولا يبلع الجمل لآخر.

لا يدين أحداً فى شىء، بينما يبرر غيره فى نفس الشىء، بسبب عواطفه تجاه هذا وتجاه ذاك.

ولا مانع عنده أن يدين نفسه فى عمل من الأعمال، و يرفض أن يبرر ذاته، إذ يرى أن تبرير الذات هو أمر لا يتفق مع الحق. و يضع أمامه قول الرب:

« مبرىء المذنب، ومذنب البرىء، كلاهما مكرهة للرب » (أم ١٧ : ١٥).

والذى يحب الحق لا يظلم أحداً، ولا يقبل أن يقع ظلم على أحد، حتى لو كان ممَن يعادونه..

إنه يحب الحق بعيداً عن الطائفية والتعصب، لا فرق عنده بين قريب وغريب. لا يتأرجح الحق عنده بعوامل تتصل بالدين أو الجنس أو القرابة...

الحق اسم من أسماء الله. فالذى يحب الحق، يحب الله. والذى يبعد عن الحق، يبعد عن الله...

والذى يسير فى طريق الحق ، يتحرر من الباطل، ومن الزيف، ومن الرياء، ومن التملق والنفاق، ومن التظاهر، لأنها كلها أمور ضد الحق.

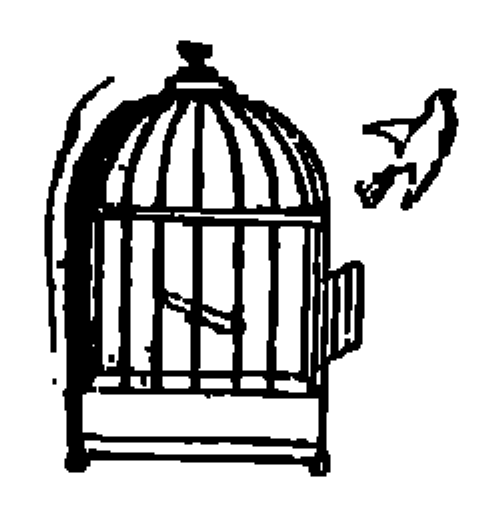
كلمة الحق لها قوتها ، وإن صدرت من فم طفل صغير، لأن قوة الحق تنبع من ذاته وليس من الخارج.

وبعكس ذلك الباطل ، فليس له قوة فى ذاته، مهما كانت قوة المدافع عنه.

الحق قد يبدو أولاً منهزماً ، ثم ينتصر أخيراً.

لا بد للحق أن يحتمل ، ليعبر عن محبته لله ..

الذى يقوده الحق ، يفرح بقيادته ، و يتغذى بالحق ويحيا.



١٥٣ راحتك وراحة غيرك

الرجل النبيل ، لا يبنى راحته على تعب الآخرين .

بل النبيل هو الذى يضحى براحته ، لكى يريح غيره .

+ قد تشعر الأم أن راحتها فى أن يكون ابنها إلى جوارها . وفى نفس الوقت قد تكون راحة الابن فى أن يبعد عن البيت ، يسافر، يهاجر، أو يترهب ، أو ينفرد فى بيت خاص مع زوجته . وهنا يكون النبل أن تتركه أمه ، ولا تصر على راحتها إلى جواره .

+ قد تكون راحتك فى أن تلهو ، وترفع صوتك ، أو ترفع صوت الراديو أو الميكروفون ، أو تقيم حفلة .. ولكن النبل هو أن تضحى بكل هذا، إن كان غيرك محتاجاً إلى الهدوء ، للمذاكرة ، أو للمرض ، أو للنوم . فلا يليق أن تحرمه من راحته لأجل متعتك .

+ وقد تجد راحتك فى أن تنفس عما فى داخلك ، وتنتقد ، وتجرح شعور إنسان . والنبل يقول لك : لا .

+ كثير من النبلاء ، كبار القلوب ، لا يشاءون أن ينافسوا غيرهم فى شىء بل يتركون لهم المجال ، حباً لهم ، وزهداً فيما يريدونه . وكما قال أحد القديسين ازهد فيما هو فى أيدى الناس ، يحبك الناس .

+ الإنسان النبيل ، يصمت ليعطى غيره فرصة يتكلم فيها . ولكن إن أراد غيره أن يسمعه ، فحينئذ يتحدث .

+ ليس معنى هذا أن النبيل يسير على هوى الناس ، أياً كان ! كلا . فإن كانت راحة الناس فى ما هو خطأ ، فإنه لا يشترك معهم فى ذلك . لأن إرضاء الله أهم من إرضاء الناس . ولأنه يريد للناس راحة حقيقية ، وهذه لا تكون فى تشجيعهم على الخطأ !

لذلك حاول أن تربح الناس على قدر طاقتك ، بشرط أن تربح ضميرك أيضاً ، مبتعداً عن التدليل الذى يتلف مَنْ هو أصغر منك ، والطاعة التى تتلف مَنْ هو أكبر منك . والذى لم تستطع أن تريحه بتحقيق رغباته الخاطئة ، حاول أن تريحه نفسياً ، باقناعه ، أو بكلمة طيبة .

وكما قال الكتاب : « إن كان ممكناً ، فحسب طاقتكم ، سالموا جميع الناس » (رو ١٢ : ١٨) .

(١٥٤) مياه كثيرة

قال سفر النشيد : « مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة ، والسيول لا تغمرها » (نش ٨ : ٧) .

وينطبق هذا الكلام على المحبة بين الله والإنسان ...

وكذلك عن المحبة التى بين الإنسان وأخيه الإنسان ...

فإن كانت المحبة قوية وثابتة ، لا يمكن أن تزعزعها الأسباب الخارجية أياً كانت ، كالبيت المبنى على الصخر...

انظروا محبة المسيح لتلاميذه ، كيف أنها لم تتغير ولم تضعف . فبطرس أنكره ثلاث مرات ، ومع ذلك قال له الرب : « ارع غنمى ، ارع خرافى » . وتوما شك فيه ، فلم يغضب منه ، بل ظهر له وقوى إيمانه ، وكذلك المجدلية . والتلاميذ تفرقوا عند القبض عليه ، فبقيت محبته لهم كما هى .

كذلك محبة الله التى أظهرها نحو العالم الذى أخطأ ، نحو الذين رفضوه ، فظل يمد يده إليهم ، ويقرع على أبوابهم ، ويرسل

لهم الأنبياء . وأخيراً « بيّن الله محبته لنا ، لأننا ونحن بعد خطاة ، مات المسيح لأجلنا » (رو ٥ : ٨) .

وأنت ، هل محبتك لله ثابتة ؟ أم محبتك له تهتز أمام المياه الكثيرة ؟ أمام تجربة أو ضيقة أو مرض ، أو وفاة ، أو أمام بعض الأفكار أو الشكوك ؟! أو بعض الخطايا أو الرغبات أو العثرات ...

انظر إلى بولس الرسول كيف يقول : « لا شيء يفصلنا عن محبة المسيح ... لا موت ، ولا حياة ، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ، ولا شدة ولا ضيق ولا اضطهاد » (رو ٨ : ٣٥-٣٩) .

ومحبتك لأصدقائك وأحبائك : هل هى ثابتة أيضاً ؟

أما أن حادثاً معيناً ، قد يغير قلبك من جهة محبة عاشت معك سنوات طويلة ؟! كما يحدث أحياناً فى أسرة تنهار وتتفكك بعد عشر سنوات ، ولا تصمد أمام المياه ، وقد لا تكون مياهاً كثيرة ...

هل تتغير محبتك من أجل كلمة لم تسترح لها اذناك ؟ أو تصرف ضايقك ؟ أو تأثير الآخرين عليك ؟ أو لظروف خارجية ، أو أسباب مالية ، أو ... إلخ ؟ وحينئذ يرن فى أذنيك قول الكتاب :

« عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى » (رؤ ٢ : ٤) .

١٥٥ المحبة تحتمل كل شئ

كل إنسان يمكن أن يتجاوب مع المحبة التى تعطى وتبذل ، والتى تريح وتفرح كل مَنْ يقابلها .

ولكن هل كل إنسان يستطيع أن يحتمل غيره إذا أخطأ إليه ، ولا يفقد محبته أمام الإساءة ، أو أمام ما يظنه أنه أساءة ... ؟

إن الرسول يقول : « المحبة تحتمل كل شيء ... المحبة لا تسقط أبداً . مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة ... » (١ كو ١٣) .

إن كل أخطاء الناس لم تستطع أن تغير محبة الله ، الذى فيما نحن بعد خطاة مات لأجلنا ... نكران بطرس للمسيح ، لم يستطع أن يغير محبة المسيح لبطرس ، فبقيت كما هى ...

كل أخطاء أبشالوم وخيانته وحربه لأبيه ، كل ذلك لم يغير من محبة داود له ، الذى ليس فقط إحتمله ، إنما قال : « رفقاً

بالفتى أبشالوم ، بل بكى عليه بطريقة مؤثرة للغاية .

ومحبة داود كما احتملت أبشالوم ، احتملت شاول الملك أيضاً وكل متاعبه . وكم كان مؤثراً رثاء داود لشاول الذى أراد قتله مراراً ...

انظروا إلى محبة الأم لإبنها : إنها لا يمكن أن تسقط مهما أخطأ الابن ، بل تحتمل كل شيء يصدر منه ، وتبقى المحبة كما هى ...

المحبة التى « لا تطلب ما لنفسها ، هى التى يمكنها أن تحتمل كل شيء ...

أما الذى يتمركز حول ذاته ، فهو لا يعرف أن يحب كما ينبغى . وإن أحب ، لا تستطيع (محبته) أن تحتمل كما ينبغى .

احتملوا إذن أخطاء غيركم ، كما يحتمل الله أخطاءكم .

احتملوا لا فى ضيق ، ولا فى مرارة قلب ، إنما فى حب ، شاعرين أن كل إنسان له ضعفاته ، وربما له أعذاره أيضاً التى لا تعرفونها ...

اختبروا محبتكم بهذا الاحتمال ، لتعرفوا مدى سلامتها .

(١٥٦) هيكل الروح

لقد قال الرسول : « أما تعلمون أنكم هيكل الله ، وروح الله يسكن فيكم » (١ كو ٣ : ١٦) . وقال أيضاً : « أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس فيكم ، الذى لكم من الله ، وأنكم لستم لأنفسكم ... فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله » (١ كو ٦ : ١٩ ، ٢٠) .

فكيف يحتفظ الإنسان بنفسه كهيكل لله ؟

كيف يكون بيتاً مقدساً للرب ؟ و يقول مع المرنم : « ببيتك تليق القداسة يارب » .

من الناحية السلبية ، يبتعد عن كل ما ينجس هذا الجسد ، ليس فقط من جهة خطايا النجاسة المشهورة ، إنما حتى من جهة التفاصيل الأخرى ، كما قال الرب : « بل ما يخرج من الفم ، هذا ينجس الإنسان ... ما يخرج من الفم ، فمن القلب يصدر ، وذاك ينجس الإنسان . لأن من القلب تخرج أفكار شريرة ... هذه

هى التى تنجس الإنسان» (مت ١٥ : ١١-٢٠).

إن عاش الإنسان فى شركة الروح القدس ، يبعد عن كل هذه السلبيات ، لأنه لا شركة بين النور والظلمة .

وإن عاش الإنسان فى الخطية ، لا يكون سالكاً حسب الروح ، ولا يكون قد أعطى الروح القدس فرصة ليعمل فيه . بل يكون قد أحزن الروح (أف ٤ : ٣٠) وأطفأ الروح (١تس ٥ : ١٩).

وهل يكون الإنسان فى هذه الحالة هيكلاً لله ؟!

أم ينطبق عليه قول الرسول : « إن كان أحد يفسد هيكل الله ، فسيفسده الله . لأن هيكل الله مقدس ، الذى هو أنتم» (١ كو ٣ : ١٧).

وإن كان الإنسان هيكلاً لله ، تخرج من هذا الهيكل «مزامير وتسابيح وتراتيل وأغانى روحية» (أف ٥ : ١٩).

بل إن كان الإنسان هيكلاً لله ، تتحول حياته كلها إلى ذبيحة مقدسة ، محرقة سرور للرب . وكما قال الرسول : «... تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة» (رو ١٢ : ١).

وإن كان الإنسان هيكلاً للروح ، تظهر فيه ثمار الروح .

وتصبح حياته كلها قداسة ، وتبدو الروحانية فى كل ما يعمل، ويتمجد الله عن طريقه، ويعطى القوة التى قال عنها الرب : «ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم» .

١٥٧ الله والإنسان

أقدم علاقة ، وأكثر العلاقات دواماً ، هى علاقة الله بالإنسان...

إنها علاقة أزلية ، حينما كنا فى عقل الله فكرة، وفى قلبه مسرة... وهى علاقة أبدية ، لأنها لا تنتهى...

أما العلاقات بالبشر ، فهى علاقات ترتبط بوقت معين من الزمان، وبمكان معين من الأرض، وبغرض محدد...

وتستمر علاقات الناس إلى الابد ، إذا اشتركوا معاً فى عمل

الخير، وفى إرضاء لله ، واتيح لهم بذلك أن يلتقوا معاً فى حضن الله ، فى الابدية ...

إذن العلاقة الثابتة الدائمة هى العلاقة بالله ...

وتكون العلاقة بالبشر ثابتة أيضاً ودائمة ، إن كان الله طرفاً فيها ... إن ارتبطت هذه العلاقة بوصية من وصايا الله ، أو بإحدى القيم السامية التى وضعها الله كقاعدة للمعاملات بين الناس . آما غير هذا ، فزائل ...

إن كانت العلاقة بالله هكذا ، فينبغى أن توضع فى قمة اهتماماتنا ، ونفضلها على كل شىء وعلى كل أحد ، ونفضلها أيضاً على الذات ومتطلباتها ...

وإن اصطدمت محبة الله ، بأية محبة أخرى ، تجعل الله قبل الكل ، كما قال بفمه الطاهر: «مَن أحب أباً أو أماً أكثر منى فلا يستحقنى » ..

وهكذا لا نحب أحداً من الناس ، ولا نجاهل أو نرضى أحداً من الناس ، على حساب محبتنا لله . وكما قال الرسول : «لو كنت بعد أرضى الناس ، فلست عبداً للمسيح » (غل ١ : ١٠) .

حتى ولا الذات ... فمن أجل الله يكون الإنسان مستعداً أن ينكر نفسه ، وأن يحمل صليبه ...

والذين أحبوا الله من كل القلب والفكر حسب الوصية ، هؤلاء تفرغوا له تماماً كالآباء المتوحدين ، الذى كان شعارهم هو «الانحلال من الكل للارتباط بالواحد» .

فليكن الله بالنسبة إلينا ، ليس فقط الأول ، وإنما للكل . هو الذى سنعيش معه فى الابدية ، وبمحبتنا له يتقرر مصيرنا ، و يتحدد نوع حياتنا .



(١٥٨) القلب القوى

القلب القوى ، هو القلب الصامد ، الذى لا تقوى عليه العوامل الخارجية ، فلا يهتز بسبب من الخارج .

القلب القوى ، لا تغيره كلمة مهما كانت قاسية . ولا تزعجه معاملة مهما كانت شاذة ، ولا تغريه إغراءات ، ولا تهزه إثارات . إنه صامد ، لا تتحكم فيه سوى مبادئه التى يؤمن بها ، ومثالياته التى يتمسك بها ...

القلب القوى لا يحوله الكبرياء مال أو جاه أو منصب أو رفعة مادية أو روحية . كما لا يسقطه فى صغر النفس ما هو عكس هذا .

القلب القوى ، لا ينتصر عليه القلق ولا اليأس ، ولا الاضطراب ولا الخوف ، بل يسمع قول الرسول :

« كونوا راسخين غير متزعزعين » (١ كو ١٥ : ٥٨) .

ولقوة القلب أسباب ، بعضها طبيعى ، وبعضها من النعمة .

هناك إنسان قوى القلب بطبعه ، كالأسد ، فيه جسارة ، وله بسالة ، ولا يخاف . ولكنه قد يكون روحياً ، وقد لا يكون . وقد يظهر قوة فى مجالات معينة ، ثم يضعف أمام دمعة أو رجاء ، أمام أم أو ابن . وقد يضعف أمام رغبة معينة لا يستطيع مقاومتها .

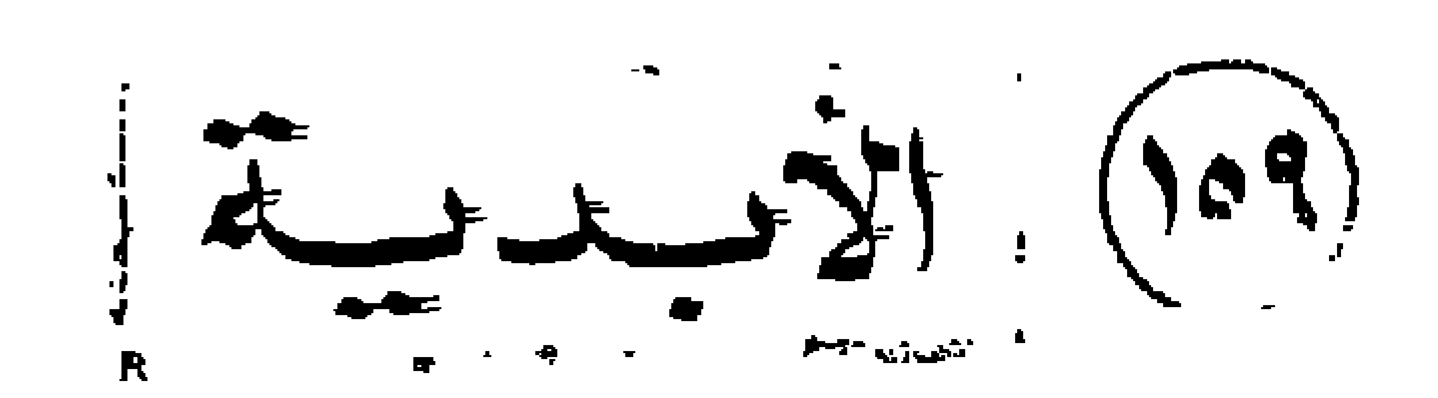
وإنسان آخر ، سبب قوته يتركز فى روحياته ...

فالإنسان الزاهد فى كل شىء ، يكون دائماً قوياً ، لأنه لا يحرص على شىء ، ولا يشتهى شيئاً ، ولا توجد فيه نقطة ضعف يحاربه بها العدو . كما قال القديس أوغسطينوس : [جلست على قمة العالم ، حينما أحسست فى نفسى أنى لا أشتهى شيئاً ، ولا أخاف شيئاً] .

وقد يكون سبب قوة الإنسان محبته للابدية ، فأصبح الموت نفسه لا يخيفه . أو قد يكون سبب قوة قلبه ، محبته للحق ، والحق دائماً قوى مهما صادمته المقاومات .

وقد يكون سبب قوة القلب ، هو الإيمان ...

الإيمان بقوة الله التى معه ، والتى تحرسه وتحميه ، والتى تعطيه معونة من الروح القدس ، كما قال الرب : « ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم » وكما قال بولس : « أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقوينى » .



١٥٩ الأبدية

حياة الإنسان الأرضية المحدودة ، إذا ما قيست بالابدية غير المحدودة ، فإنها تؤول إلى صفر كأنها لا شيء ...

ومع ذلك فالناس يهتمون بحياتهم على الأرض ، كما لو كانت هى كل شيء بالنسبة إليهم... يهبونها عواطفهم ووقتهم وجهادهم ، ويضعونها فى المكان الأول من قلوبهم .

سواء كانت حياتهم هم على الأرض ، أم حياة أحبائهم ، أو

أقربائهم أو أصدقائهم أو معارفهم ...

وفى كل هذا ينسون أبديتهم ، وأبدية هؤلاء .

لكى تهتم بالابدية ، لا بد أن تقتنع بها ، وتفكر فيها ، وتعمل من أجلها بكل جهدك ، وتجعلها تشغل قلبك .

إن الكنيسة المقدسة تجعل هذه الغاية أمامنا فى صلوات الأجبية ، وبخاصة فى قطع النوم ونصف الليل ، وأيضاً فى قطع الغروب ، وفى كثير من المزامير المستقاة .

كل هذا ، ليكون هذا الموضوع فى ذاكرتنا باستمرار .

هذا الذى من أجله قال السيد المسيح : « ماذا يستفيد الإنسان ، لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟! » .

وقال بولس الرسول : « ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى تُرى ، بل إلى التى لا تُرى . لأن التى تُرى وقتية ، وأما التى لا تُرى فأبدية » (٢ كو ٤ : ١٨) .

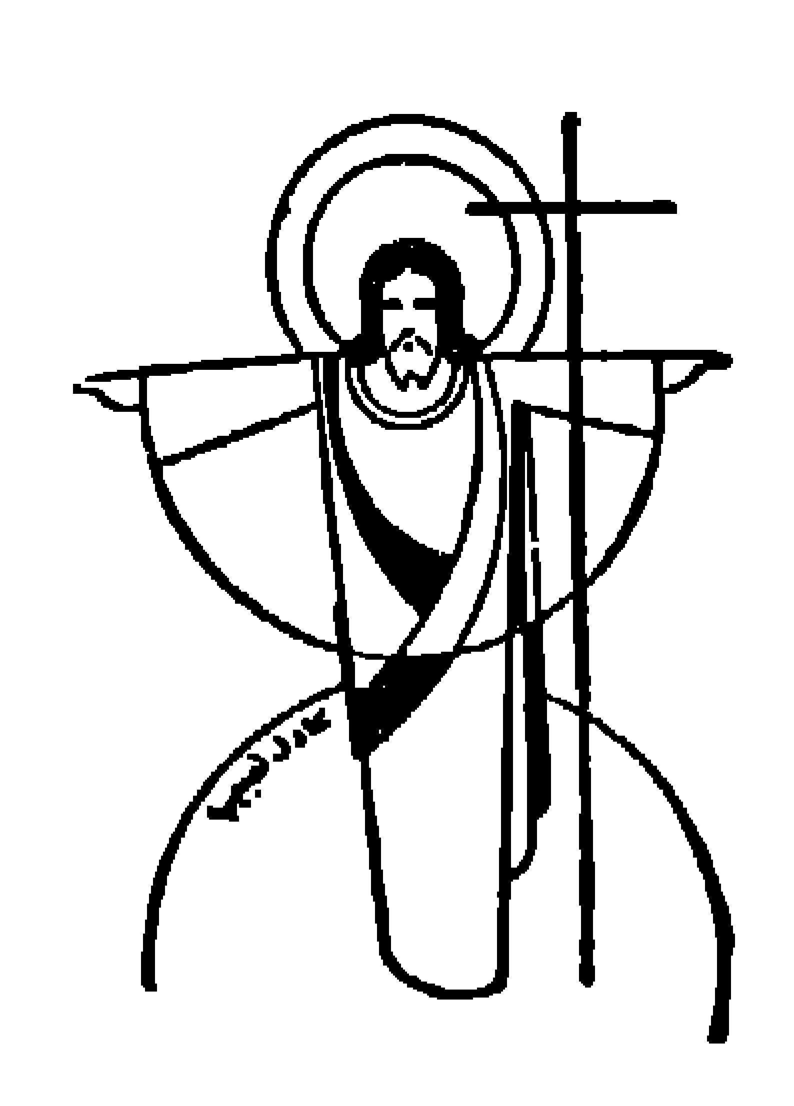
من أجل هذه الابدية التى لا تُرى الآن ، عاش آباؤنا القديسون فى حياة التجرد ، وفى الموت عن العالم ، وركزوا كل قلوبهم وعواطفهم فى محبة الله وحده ، مشتاقين إليه وإلى الحياة

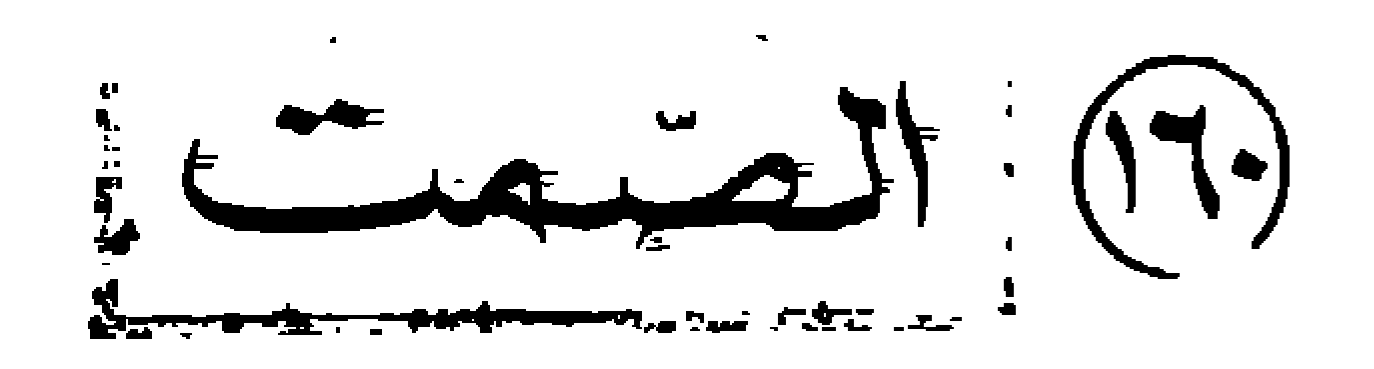
الدائمة معه . وهكذا بدأوا طريقهم نحو الابدية والانطلاق من هذا العالم ، ونالوا مذاقة الملكوت .

الذى يعمل لابديته ، لا يحب العالم ولا الأشياء التى فى العالم ، موقناً أن العالم يبيد وشهوته معه .

والذى يعمل لابديته ، يسلك دائماً بتدقيق فى كل شيء ، لئلا يفقد إكليله ، بخطأ أو تهاون .

والذى يعد نفسه للابدية ، يفكر كثيراً فى العالم الآخر ، فى الله وملائكته وقديسيه ، فى مسكن الله مع الناس ، فى أورشليم السمائية ، فى انطلاق الروح من ثقل الجسد ، و يرى أن هذا أفضل جداً ... فيشتاقه ...





+ الصمت فى مرحلته البدائية ، هو اتقاء لأخطاء اللسان. وكما يقول الكتاب: « كثرة الكلام لا تخلو من معصية » ، أو كما يقول القديس أرسانيوس: [كثيراً ما تكلمت فندمت ، أما عن سكوتى فما ندمت قط] .

+ والصمت من ناحية أخرى ، هو ترك المجهود البشرى ، واعطاء الله فرصة للعمل ، وكما يقول الكتاب: « قفوا وانظروا خلاص الرب . الرب يقاتل عنكم ، وأنتم تصمتون ».

+ والصمت يكون أحياناً نوعاً من الرصانة ، وعدم انتقام الإنسان لنفسه ، وعدم مكافأة الشر بالشر.

السيد المسيح شتموه ، أما هو فلم يشتم عوضاً (إش ٥٣) .

وعند محاكمته كان صامتاً ، سواء أمام مجمع السنهدريم ، أو أمام حنان ، وقيافا ، وبيلاطس...

وكان فى صمته قوة ، لدرجة أن بيلاطس الوالى قال : «لست أجد علة فى هذا البار» ...

+ والصمت أيضاً يعطى مجالاً للصلاة والتأمل...

إن الإنسان الكثير الكلام ، ليست لديه فرصة للصلاة، وليست لديه إمكانية للعمل الروحى الجوانى .

وصدق أحد القديسين فى قوله : [الإنسان الكثير الكلام يدل على أنه فارغ من الداخل] أى فارغ من العمل الروحى الداخلى .

والقديس أرسانيوس لما سئل عن صمته ووحدته ، أجاب : انى لا أستطيع أن أكون مع الله والناس فى وقت واحد .

+ ما أجمل قول الشيخ الروحانى : سكت لسانك لكى يتلكم قلبك . وسكت قلبك لكى يتكلم الله .

+ على أن الصمت يشمل أنواعاً كثيرة منها :

صمت اللسان ، وصمت الحواس . ذلك لأن الحواس إذا ما انشغلت ولم يضبطها الإنسان ، فإنها تجلب للإنسان أفكاراً.. تعطله عن الصلاة والتأمل. فالذى يريد أن يصمت بطريقة روحية ، عليه أن يحفظ نظره وأذنيه وباقى حواسه...

+ الصمت يعلم الإنسان الرزانة والهدوء، ويبعده عن الصخب والضوضاء والضجيج. ويبعده عن الخلطة بأفكار كثيرة قد تشتت الفكر، ويصعب جمعه وقت الصلاة.

+ والصمت أيضاً تناسبه الوحدة وعدم الإكثار من الخلطة.

(١٦١) كثرة الكلام

هناك أشخاص يركزون جداً فى كلامهم، تركيزاً شديداً يحتاج إلى مزيد من التوضيح والشرح ليفهم السامع.

ويقابل هذا نوع عكسى، يطيل الكلام بغير داع، ويمكن تلخيص كلامه فى ربعه أو عشره أو أقل...

وعن هذا نريد أن نتكلم.

قد يكون السبب فى كثرة الكلام هو التكرار: تكرار نفس

العبارة أو اللفظة أو القصة كلها ، أو تكرار المعنى ...

وقد يكون سبب إطالة الحديث هو زيادة الشرح والإسهاب فيه ، كما لو كان السامع قليل الفهم والإدراك ! أو قد تأتى الاطالة من الداخل فى تفاصيل كثيرة مملة .

وربما يكون موضوع الحديث كله غير هام ، أو على الأقل لا يستحق كل هذا الوقت الذى ينفق فيه .

وقد يكون سبب كثرة الكلام ، هو حماس المتكلم لأمر معين ، ويريد أن ينقل الحماس إلى السامع ، ظاناً أنه بكثرة الكلام عن الموضوع سيجعله يقتنع به أو يهتم !

وقد يقتنع السامع ، ولكن المتكلم يظل يتكلم ، إما لرغبته فى زيادة التثبيت والاقناع ، أو لأنه يرى أن ما سيقوله هام ويجب أن يقوله ، وإما لأن هناك شحنة فى داخله لا يستريح إلاّ إذا قام بتفريغها .

وقد يكون الأمر مجرد طبع فى المتكلم . أنه يعيد ويزيد فى كلامه ، عن أى موضوع !

والإطالة فى الحديث قد تؤدى إلى الملل ، وإلى الضيق ، فيسرح

السامع ولا يهتم، أو يحاول التخلص من هذا الحديث بطريقة ما، أو يهرب من المتكلم كلما صادفه، إن كانت كثرة الكلام طبيعة فيه .

وكثرة الكلام فيها عدم مراعاة لوقت السامع ومشغولياته، وعدم مراعاة أيضاً لنفسيته. وأعصابه، ولنوعية فهمه...

لذلك درب نفسك على أن تتكلم بميزان .

ولاحظ سامعك ، ولا تجعله يمل من حديثك .. وإن فهم قصدك، لا داعى أن تكرر أو تطيل .

ولا تعط موضوعاً وقتاً أكثر مما يستحق .

وابعد عن الكلام فى التافهات .



لماذا أحبوا

(١٦٢) الاستشهاد

آباؤنا الشهداء ، استقبلوا الاستشهاد ، ليس فقط باحتمال ورضى ، وإنما بالأكثر بفرح . إن آلافاً من المؤمنين انتقلت من دمنهور إلى الاسكندرية لتستشهد ، وهى ترتل فى الطريق تراتيل الفرح .

وقيل عن الآباء الرسل الإثنى عشر ، لما جلدوهم وألقوهم فى السجن إنهم : «خرجوا فرحين ، لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا لأجل اسمه» .

والقديس آبا فام الجندى ، لما دعى للاستشهاد ، لبس افخر ثيابه ، وقال : [إن هذا هو يوم عرسى] ...

فلماذا فرح آباؤنا بالاستشهاد ؟

+ كانوا يرون الاستشهاد هو أقصر طريق يؤدى إلى أفراح السماء ... إنها مجرد لحظات أو ساعات ، يكونون بعدها فى أحضان

آبائنا إبراهيم وإسحق و يعقوب ، وفى مجمع القديسين..

لذلك فإنه فى قصة استشهاد القديس أغناطيوس الأنطاكى ، لما أراد أهل رومه أن يختطفوه لكى ينقذوه من الموت ، أرسل إليهم رسالة يمنعهم من ذلك و يقول لهم : [يا إخوتى ، أخشى أن محبتكم تسبب لى ضرراً . فبعد أن وصلت ، أعود وأركض شوط حياتى من جديد]..

+ وكانوا يرون الاستشهاد شركة فى آلام المسيح ، وشركة معه فى موته ، و بالتالى شركة معه فى مجده .

وكانوا يقفون أمام قول الكتاب : « إن كنتم تتألمون معه ، فسوف تتمجدون معه أيضاً ... » .

و بعضهم كان يرى بنفسه الإكليل الذى ينتظره .

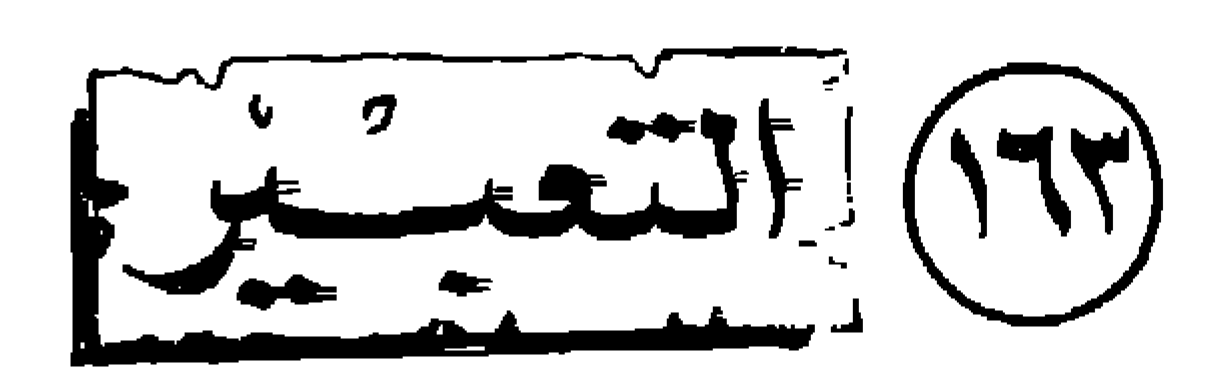
أو كان يرى أكاليل الذين استشهدوا من قبله .

ومن غير الرؤيا ، كانوا يثقون بالإيمان بما أعده الرب لمحبى اسمه القدوس ، الذين يقبلون الآلام لأجله ...

وكانوا يرون أن الاستشهاد هو خير تعبير يعبرون به عن محبتهم لله وصدق إيمانهم . وكما يقول الكتاب : « ليس حب أكثر من

هذا ، أن يضع أحد نفسه عن أحبائه » فكم بالأولى عن الإيمان ...

+ وكانوا يحبون الاستشهاد ، لأنهم يوقنون من غربتهم فى هذا العالم، ويحبون الابدية حباً ملك عليهم كل قلوبهم . وما كانوا يرون الموت إلاَّ انطلاقاً من سجن الجسد ...



١٦٣ التعبير

قد يفشل الإنسان فى علاقاته مع الآخرين ، ليس بسبب سوء القصد ، إنما بسبب سوء التعبير.

فالنية الطيبة وحدها لا تكفى ، إن لم يعبر عنها صاحبها بألفاظ طيبة ، يكون لها وقع جميل فى النفس .

لذلك فإن الإنسان الذى يحسن انتقاء الألفاظ فى حديثه ، كثيراً ما يكون ناجحاً فى علاقاته مع الناس .

وكما قال الكتاب : « بكلامك تتبرر ، وبكلامك تدان » ،

يمكن أن يعنى هذا أيضاً «بكلامك يحبك الناس أو يكرهونك» .

ما أكثر النصائح النافعة المخلصة ، التى رفضها سامعوها على الرغم من حكمتها وفائدتها ، وذلك لأنها قدمت إليهم بتعبيرات قاسية ، كانت منفرة لهم ، ولم يجدوا فيها الحب الذى يجعلهم يسمعون النصيحة ...

ليس المهم أن تكون المعانى التى تقصدها سليمة وصحيحة ، إنما يجب بالأكثر أن تصاغ فى أسلوب أو فى تعبير محبب إلى النفس ، مقبول ممَّنْ توجه إليه تلك المعانى .

وقد يسأل البعض : أيجوز لنا أن ننتقد بعض تصرفات الغير ، أو نحللها ؟ أو نعلق عليها ، إن كنا فى موقف المسئولية ، وكان ذلك للخير؟ أم نحجم عن هذا ، خوفاً من أن نغضب ممَّنْ ننتقدهم ؟

فى الواقع إن هذا أيضاً يتوقف على التعبير .

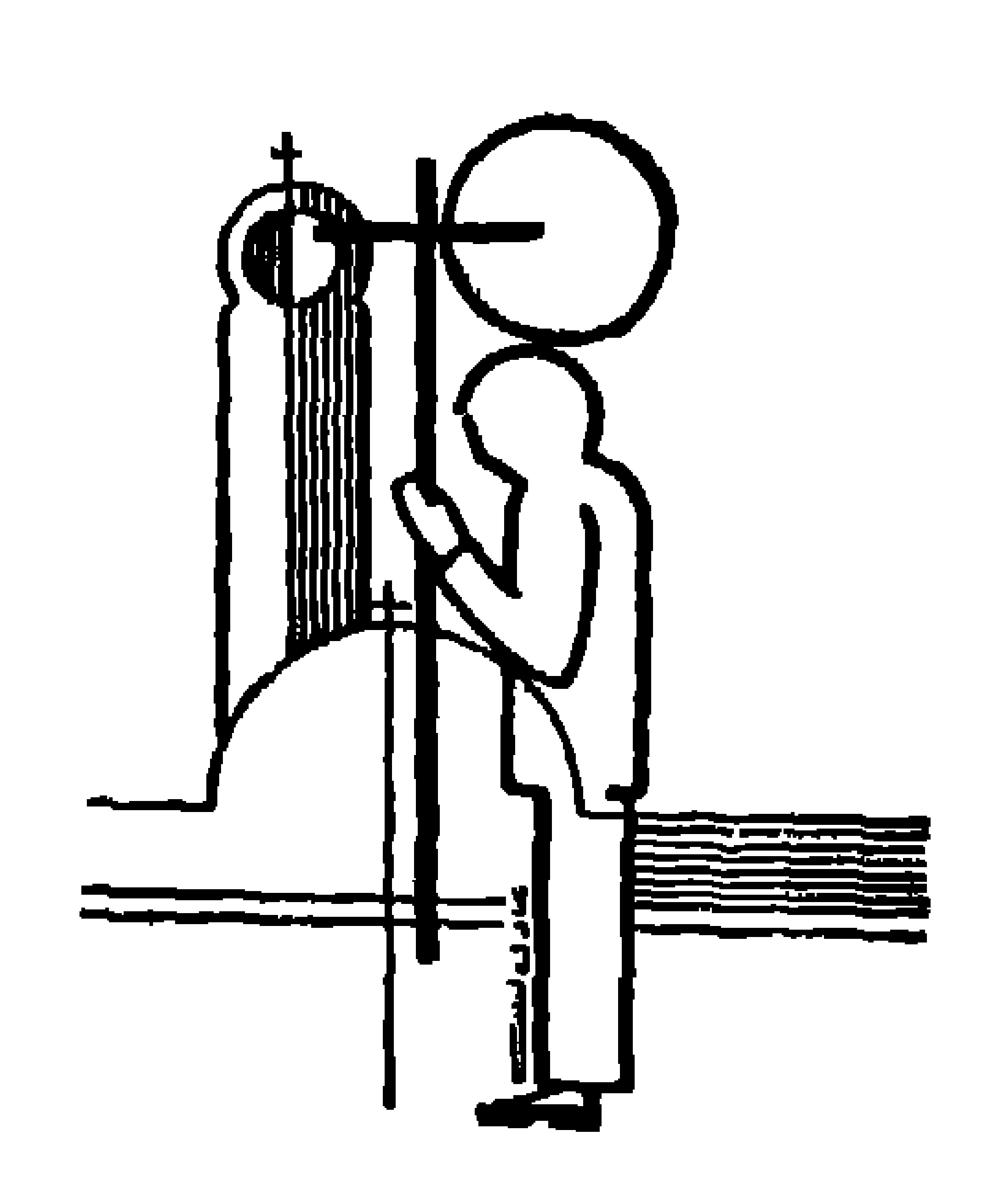
هناك شخص يقول كل ما عنده ، ولا يغضب منه أحد ، بل قد يشكره ، كما فعلت ابيجايل مع داود ، التى أمكنها أن توبخه وتنذره وتنصحه ، فى جو من المديح الخالص ، والحب والاحترام

والتقدير، حتى قال لها : « مباركة أنتِ ، ومبارك هو عقلكِ » وشكرها (١ صم ٢٥).

وشخص آخر لا يقول سوى كلمات قليلة ، ولكنه بهذه الكلمات يقيم الدنيا و يقعدها ، و يسبب أشكالات وأزمات ، كل ذلك بسبب كلمات لم يحسن اختيارها ، بسوء التعبير.

لهذا كله ، أنصحك أن تتخير ألفاظك ... وأن تدقق فى التعبير الذى تستخدمه ، فإن « لغتك تظهرك » .

ليس فقط من أجل أن تكون علاقتك طيبة مع الآخرين ، بل أيضاً من أجل نقاوة قلبك كابن لله .



(١٦٤) حياة الإيمان

كثير من الناس يؤمنون بالله ظاهرياً . أو مجرد إيمان عقلى. ومن الناحية العملية لا وجود لهذا الإيمان.

للواحد منهم اسم المؤمن ، ولكن ليس له قلب المؤمن .

فما هو هذا الإيمان ؟ وكيف نحياه ؟

« الإيمان هو الثقة بما يرجى ، والايقان بأمور لا تُرى » كما يقول معلمنا بولس الرسول (عب ١١ : ١).

هو إذن ارتفاع فوق مستوى الحواس .

الحواس فيه أضعف من أن تدرك. الإيمان لا يتعارض مع الحواس ، لكنه مستوى أعلى منها ...

نحن نؤمن بالله ، دون أن نراه . ونؤمن أن الملائكة تحيط بنا ، دون أن نراهم. ونؤمن بعمل الله فى الكون و بوعود الله ، دون أن نربط ذلك بحواسنا ، ولا حتى بعقلنا وتفكيرنا .

فالإيمان أيضاً مستوى أرقى من مستوى العقل.

ومن هنا نحن نؤمن أيضاً بالمعجزات والعجائب.

والمعجزات قد لا يفهمها العقل، ولكنه يقبلها، ولا يربط قبولها بفهمه، فهى أعلى من فهمه. وقد سميت معجزة، لأن العقل يعجز عن إدراكها وتحليلها.

وفى إيماننا بالله وحفظه، نتكل عليه، فى ثقة...

بل قد يصل الاتكال إلى حد التسليم الكامل، الذى نسلم فيه الحياة كلها لله ونحن واثقون أنه يعمل لخيرنا. ولا يهمنا أن نرى هذا العمل، إنما يكفى أن نؤمن به، دون أن نراه، يقول الرب:

« طوبى لمَنْ آمن، دون أن يرى »...

والمؤمن إنسان مستريح القلب دائماً، لا يخاف.

لما خاف بطرس، قال له الرب: « يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟! ». إذن فالشك والخوف من ضعف الإيمان.

والمؤمن شخص قوى، لا يضعف إطلاقاً أمام شىء.

وما أجمل قول الكتاب : « كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣).

بولس المؤمن يقول : « أستطيع كل شيء، في المسيح الذي يقويني »... وماذا أيضاً عن الإيمان ؟

إن حياة الإيمان ، قد تشمل الحياة الروحية كلها .

١٦٥ الكلمة مسئولية

كل إنسان عاقل ، يبحث بكل جهده عن كلمة المنفعة .

والكلمة كما إنها للمنفعة ، هي كذلك للمسئولية .

فالكتاب يقول : الذي يعرف أكثر ، يطالب بأكثر..

« وكل مَنْ أعطى كثيراً ، يطلب منه كثير» (لو ١٢ : ٤٨) .

الذي لا يعرف ، ربما تكون خطيته خطية جهل . أما الذي

يعرف، فخطيئته عن قصد وبنية خاطئة، ذلك فمسئوليته تكون أكبر. ولهذا فإن خطيئة الوعاظ والمعلمين والكهنة، هى أكبر من خطيئة أفراد الشعب. والكاهن يقول فى تقدمة القرابين: «عن خطاياى وجهالات شعبك». هى بالنسبة إليه خطايا، وبالنسبة إلى غير العارفين: جهالات..

ماذا إذن؟ هل يحسن بالإنسان أن لا يعرف، حتى تقل دينونته؟ هنا و يقول القديس أوغسطينوس:

هناك فرق كبير بين إنسان لا يعرف، وإنسان يرفض المعرفة. الذى يرفض المعرفة، يدان عن رفضه.

كما أن الذى يرفض أن يعرف الله وطرقه، يدل أيضاً على أنه لا يحب الله، ولا يستحق الله...

فماذا إذن عن المسئولية؟

حقاً أن المعرفة مسئولية. ولكن مع المعرفة معونة إلهية، تساعد مَنْ يعرف على التنفيذ والتطبيق.

فمع الكلمة قوة... لذلك قيل إنها حية وفعالة.

وإنها أمضى من كل سيف ذى حدين (عب ٤: ١٢).

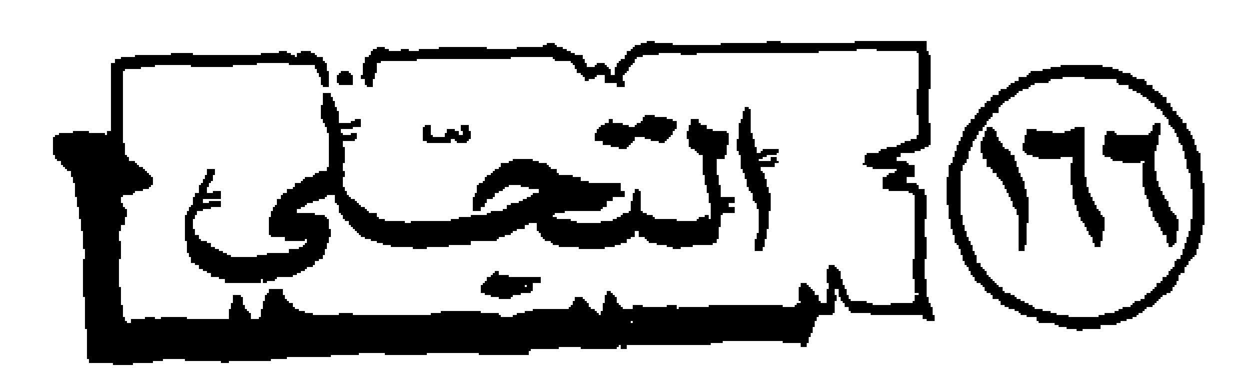
وإذا قبل الإنسان كلمة المعرفة ، إنما يقبل معها الرب معطيها ، ويقبل معها الروح القدس الذى يقوى ويشجع على التنفيذ. وهكذا كانت كلمة الرب فى أيام الرسل... بكلمة آمن على يد بطرس الرسول ثلاثة آلاف... والكلمة على لسان اسطفانوس لم تقو على مقاومتها ثلاثة مجامع... لذلك اطلب قوة الكلمة لتعمل فيك...

كلمة الرب لها فاعلية فى الضمير ، تنيره وأيضاً تلهبه ، وتثيره لكى يعمل حسناً ، ويحتج على كل خطأ.

وكلمة الرب ستظل تتابعك ، وتلح عليك ، ومهما قاومتها لابد ستعود إليك ، ولو بعد حين طويل ، وتقف أمامك.

وقد قال الرب : « كلمتى لا ترجع فارغة » (إش ٥٥ : ١١).





احتفلنا فى الأسبوع الماضى ، بعيد التجلى المجيد .

وكان تجلى السيد المسيح ، وتجلى موسى وإيليا معه ، عربوناً لتجلى الطبيعة البشرية كلها بوجه عام .

هذا التجلى هو فداء طبيعتنا من المادة وثقلها .

وهو وعد من الرب بأن ينقذ طبيعتنا من عبودية الفساد ، عبودية المادة ، لكى نصير روحانيين ونورانيين ، وبهذا نصبح أهلاً للحياة فى الملكوت المعد لنا .

ففى الابدية سنعتق من عبودية اللحم والدم ومطالبهما ، ونكون هناك كملائكة الله فى السماء .

ولكن سينال هذا التجلى ، مَنْ لم يخضع للمادة فى حياته على الأرض ، هذا سيصير نورانياً فى الابدية ...

وسيصير نورانياً فى الابدية ، مَنْ سلك ههنا على الأرض كأحد

أبناء النور، ولم يسلك فى أعمال الظلمة غير المثمرة، بل على العكس كان يبكتها (أف ٥ : ١١).

ذلك لأن الذين سلكوا فى أعمال الظلمة ، سيطرحون فى الظلمة الخارجية فى الابدية، بعيداً عن مدينة النور وعشرة النورانيين فى أورشليم السمائية ...

إن التجلى فى الابدية ، لا يكون تجلياً للجسد فقط ، وإنما للروح أيضاً، وهكذا تتخلص من دنس الجسد والروح . وتجلى الروح معناه أن تلبس إكليل البر، فلا يعود للخطأ أو الخطيئة سلطان على الإنسان فيما بعد ...

هذا التجلى هو رجوعنا إلى الصورة الإلهية ...

كان آدم وحواء على صورة الله فى النقاوة والبرارة والبساطة . ولكن التجلى فى الابدية سيكون بطريقة أسمى من طبيعة آدم وحواء، إذ سيتخلص البشر من مادية الجسد، و يصبحون روحانيين و يقتربون بالأكثر إلى صورة الله، كما على جبل طابور...

ليتنا نعد أنفسنا من الآن لنكون مستحقين لهذا التجلى.

بأن نسلك حسب الروح ، حتى نستحق أن نلبس أجساداً روحانية فى الابدية ، كملائكة الله فى السماء .

إن عيد التجلى يدعونا إلى الحياة الروحانية ...

١٦٧ إحترام الآخرين

احترم غيرك ، يحترمك غيرك ...

احترم غيرك ، احتراماً لإنسانيته ، أياً كان سنه ، وأياً كان مركزه أو وضعه فى المجتمع ، فهو مثلك ، إنسان .

احترام الكبار ، أمر يمارسه الجميع تقريباً و يشعرون أنه واجب ملزم لا يحيد عنه إلاَّ متمرد .

أما احترام الصغار ، فهو أمر يدفع إليه النبل ...

متى تشعر أنك ملزم روحياً ، بأن تحترم ابنك ، ومرؤوسك فى

العمل ، وخادمك ، ومَنْ هو أصغر منك سناً ، أو أقل منك ثقافة ، أو أبسط منك حالاً ... ؟

احترامك للناس يكسبك محبتهم ، ولا يفقدك مهابتك ...

واحترام الناس له جانبان : أحدهما سلبى والآخر إيجابى .

أما الجانب السلبى ، فهو البعد عن الفاظ الاهانة والتجريح والبعد عن اللفظة القاسية والمعاملة التى تخدش الشعور..

أما الجانب الإيجابى ، فهو إشعار مَنْ تعامله بما فى قلبك نحوه من تقدير واعزاز واحترام لشخصه . وبأن له مكانة عندك ، وبأنك ترفعه حتى فوق المستوى الذى يظنه فى نفسه بدافع من صغر النفس ...

من الناحية السلبية ، قال السيد المسيح عن احترام الآخرين : « مَنْ قال لأخيه رقاً يكون مستوجب المجمع . ومَنْ قال يا أحمق يكون مستحقاً لنار جهنم » (مت ٥ : ٢٢) .

أما من الناحية الإيجابية ، فقال السيد المسيح لتلاميذه : « لا أعود أسميكم عبيداً بل أحباء » « أنتم نور العالم » « أنتم ملح الأرض » « مَنْ يكرمكم يكرمنى » .

غير أن البعض للأسف الشديد ، يظن أن تداول عبارات الاحترام بين الأحباء والأصدقاء والأقارب ، هو نوع من الكلفة التى ينبغى رفعها من بينهم !

والواقع أن عبارات الاحترام لا تمنع أبداً مشاعر الحب والدالة ورفع الكلفة ... بل على العكس ، فإن عبارات الاحترام تزيد المحبة بين الناس وتزيد ترابطهم وتمنع الاحتكاك .

وننصح أن يكون الاحترام المتبادل من أبرز صفات التعامل بين الأزواج ، فهو إلى جوار ربطه للقلوب ، يعطى قدوة للأبناء ، و يعلمهم أسلوباً مهذباً فى الكلام والمعاملة ...



١٦٨ كم عدد أساتذتنا ؟

الذى له روح التلمذة ، ويحب أن يتعلم ويكتسب كلمة منفعة ، هذا لا يستطيع أن يحصى عدد أساتذته ، أو بالأحرى مصادر معرفته ...

ولسنا نقصد فى ذلك أساتذته فى **محيط الأسرة** ، من جهة الوالدين والأقارب ... ولا أساتذته فى **نطاق التعليم المدرسى والجامعى** وهم كثيرون ، ولا نقصد أيضاً أساتذته فى محيط **الكنيسة** من جهة أب الأعتراف ، والمرشدين الروحيين ، ورجال الكهنوت ، وخدام التربية الكنسية ، وكل خدام الوعظ والمنبر ، وأساتذة كلية اللاهوت إن اتيح له التتلمذ عليهم ...

إنما لكل إنسان عدد لا يحصى ممَنْ تلقى عليهم المعرفة ، وفى كل نواحى الحياة ، بقصد أو بغير قصد ، شعر بذلك أو لم يشعر ...

هل يستطيع أحد أن ينكر عدد الذين أثروا بحياتهم وقدواتهم

فى معارفه ومثالياته وسلوكه، دون أن يقصدوا تعليمه، ولكنهم تركوا أثراً لا يُمحى فى نفسيته، وزودوه بنماذج من الحياة انطبعت فى عقله ؟!

هل تستطيع أن تحصى عدد الذين استفدت من حياتهم دروساً؟ سواء من أسلوبهم فى الكلام، أو من طريقتهم فى التعامل، أو طريقة حلهم للمشاكل؟

هل يمكنك أن تحصى عدد الذين أخذت دروساً من روحانية صلواتهم، أو من وداعة حياتهم، أو شجاعتهم أو نبلهم أو كرمهم؟ وكل ذلك دون أن يقصدوا هم أن يلقنوك درساً؟

وهل ينكر أحد ما قد تعلمه من أخطاء الآخرين، كما من مثالياتهم. وكانت أخطاؤهم ونتائج هذه الأخطاء أجراساً عالية الصوت، تحذره وتنذره وتخيفه، وتلقنه دروساً لن تنسى... ؟!

وكما يتعلم الإنسان من أخطاء الآخرين، لا شك أنه قد يتعلم من أخطائه أيضاً، ويتعلم مما يتلقاه فى حياته من عقوبات، ومن كلمات التوبيخ، أو من كلمات العتاب، أو حتى من كلمات التهكم والنقد والتجريح... هذا إن كان يحب أن يتعلم.

والعلاقات الاجتماعية هى أيضاً دروس ، بكل ما لها من نتائج .

كم درساً أخذته خلال تعاملاتك فى الحياة؟ كم نصيحة أو ملاحظة تلقيتها من صديق أو من عابر طريق؟ وكم درساً أخذته ممَنْ خدعك أو استغلك أو حاربك؟ وكم درساً أخذته ممَنْ ساعدك وكتم عنك مساعدته ، أو ممَنْ احتملك دون أن يشكو؟

كم فائدة أخذتها ربما من حديث عابر بين اثنين ؟

إذن كم عدد أساتذتك من الأصدقاء والأعداء ، من الأحياء والأموات؟ من الأبرار ومن الأشرار كليهما ...؟ من المصيبين والمخطئين .

وهناك دروس أخرى يتلقنها الإنسان من قراءاته وهى كثيرة : سواء من الكتب ، أو الصحف ، أو المجلات ، أو من كل وسائل الاعلام: دروس من القصص والروايات والمسرحيات . وحتى الفكاهات والنوادر والكوميديات ، كثيراً ما تحمل فى داخلها دروساً عميقة .

والأحداث هى أيضاً أساتذة لنا ، نتلقى منها دروساً .

كم عدد الدروس التى تلقاها الناس من الموت، ومن الحروب، ومن الكوارث، ومن الانقسامات والشقاقات ونتائجها ... ومن كل الأحداث ويد الله فيها ؟

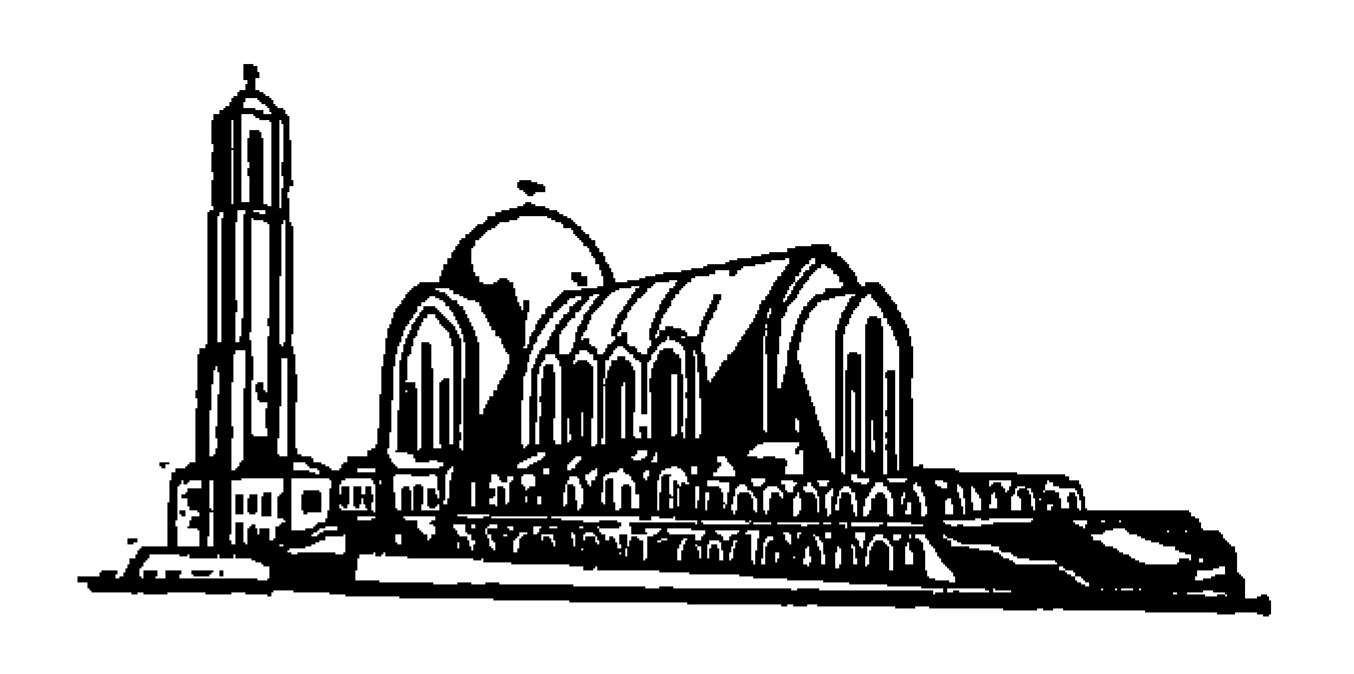
إن الأخبار التى نسمعها أو نقرأها كل يوم تحمل دروساً، إن كانت تحمل عبراً فى الحياة.

إننا نأخذ دروساً حتى من الحيوانات والطيور والحشرات.

نتعلم النشاط من النمل، ونتعلم النظام من النحل، ونتعلم الوفاء من الكلب، والشجاعة من الأسد، والذكاء من الحية ومن الثعلب، ونتعلم الصبر والصوم من الجمل...

مصادر المعرفة موجودة فى كل مكان. ولكن مَنْ يريد أن يتعلم ؟!

إن العالم والحياة هما مدرسة كبيرة، كلها دروس.



(١٦٩) وقت الفراغ

الذى يعرف قيمة الوقت ، و يستغله فى سبيل منفعته ، هذا لا يمكن أن يجد وقت فراغ ، لأن وقته لا يكفى مطلقاً ما يضعه أمامه من مسئوليات .

الذى عنده وقت فراغ ، لا بد أن فى حياته فراغاً لم يمتلىء بعد ... ووجود الفراغ فى الحياة ، أو فى الهدف ، أو فى الطموح ، هو أمر مؤسف حقاً !

لذلك فأصحاب الرسالات الكبيرة ، ليس لديهم وقت فراغ ... والذين لهم طموح فى حياتهم ، سواء كان طموحاً روحياً أو علمياً ، أو حتى طموحاً مادياً ... كل هؤلاء ليس أمامهم وقت فراغ ...

وقت الفراغ قد ينشأ من عجز الإنسان فى معرفة كيفية الاستفادة من وقته ... فإن عرف ، زالت من أمامه هذه المشكلة ...

وقد تقف مشكلة وقت الفراغ أمام المسنين ، أو الذين أكملوا

خدمتهم واحيلوا إلى المعاش أو إلى الاستيداع ... وظنوا أن رسالتهم فى الحياة قد انتهت ، وأصبحت حياتهم الباقية بلا عمل أو بلا هدف ... !

يلزم هؤلاء أن يبحثوا عن عمل يعملونه ، حتى لا تصبح حياتهم مملة وثقيلة عليهم ...

والمفهوم الروحى لتقضية وقت الفراغ ، ليس هو البحث عن وسيلة تقتل الوقت !!.. وإنما البحث عن وسيلة للاستفادة من الوقت ...

فالوقت هو جزء من الحياة ، ومن الحرام أن تقتله أو تضيعه هباء . وإلاً كانت حياتك رخيصة فى عينيك ! وكان وقتك لا قيمة له !!

ووقت الفراغ مشكلة يجابهها الطلبة فى العطلة الصيفية ، إذ ينتهون من دراستهم ، ولا يجدون ما يشغلون به أنفسهم ، بعد أن كانت الدراسة هى التى تشغلهم .

وواجب المربين أن ينشئوا أنشطة ينشغل بها الطلبة فى عطلاتهم الصيفية وهذا هو أيضاً واجب الآباء ، وواجب

الكنيسة ومدارس التربية الكنسية..

وهكذا احتلت الأنشطة الصيفية مجالاً هاماً فى أذهان المشرفين على الشباب والأطفال، ووضعوا لها البرامج، حتى يستفيد الأولاد، وحتى لا يشعروا أن الكنيسة قد أهملتهم وتركتهم إلى هواهم، يسدون هذا الفراغ بأية الطرق، وقد يضرون أنفسهم ضرراً بليغاً...

إن العقل دائم العمل، لا يهدأ ولا يصمت .. إن لم يفكر فى الخير، قد يفكر فى الشر.. أو على الأقل يفكر فى تفاهات لا تبنيه... وهكذا بدلاً من أن يقابل فراغ الوقت، يقابل فراغ الحياة وفراغ التفكير!

ومشكلة الوقت الفارغ قد تقابل كثيراً من السيدات أو الزوجات غير العاملات، اللائى ليس لهن أطفال، أو انتهين من تربية أولادهن... هنا ونعيد السؤال: **كيف نقضى وقت الفراغ.**

(للحديث بقية)

(١٧٠) كيف تقضي وقت الفراغ ؟

١ - لا مانع مطلقاً من بعض الترفيهات ، أو من الراحة والاسترخاء Relax . لأن الإنسان لا يستطيع أن يكون مرّكزاً باستمرار، جاداً باستمرار، مشدوداً طول الوقت . فالله نفسه أعطانا أياماً للراحة ، وأمر بها «لأجل الإنسان» .

٢ - ومن الأشياء النافعة لوقت الفراغ ، القراءة لمَنْ يجيد القراءة ويحبها . والمهم هو اختيار القراءة النافعة لبنيان الشخصية ، فكرياً ، وروحياً ، واجتماعياً ... لأن القراءة سلاح ذو حدين يمكن أن ينفع وأن يضر.

٣ - وهناك وسيلة أخرى هى الاستماع ، يمكن أن تضاف إلى القراءة ، أو تحل محلها عند الذين لا يستطيعون القراءة كثيراً .

والاستماع يمكن أن يأتى عن طريق الاجتماعات الروحية ، أو عن طريق أشرطة الكاسيت التى تسمعها فى عربتك وأنت فى

الطريق ، أو بيتك وأنت مستريح ، أو فى اجتماع أفراد الأسرة معاً ، أو فى لقائك مع بعض الأصدقاء .

٤ - ويمكن فى وقت فراغك رؤية بعض الأفلام الدينية ، أو أشرطة الفيديو التى تعرض فى بعض الكنائس والجمعيات الدينية ، و يقتنى البعض أشرطة منها فى المنازل .

+ ومن وسائل قضاء وقت الفراغ : الخدمة .

ففى الخدمة تنتفع أنت ، وتنفع الآخرين معك . وما فاتك خلال شهور السنة الأخرى ، تستطيع أن تعوضه فى العطلة الصيفية : من جهة الافتقاد ، والجلسات الفردية مع المخدومين ، وتحضير دروس للمستقبل ووسائل للإيضاح . مع الأنشطة العديدة الأخرى .

+ ويمكن عمل زيارات ميدانية ، لافتقاد الفقراء ، والملاجىء ، والمعوقين ، والأحياء الشعبية الفقيرة ، ويمكن تبادل الخبرات بين الخدام بالزيارات ، والمعسكرات ومؤتمرات الخدمة .

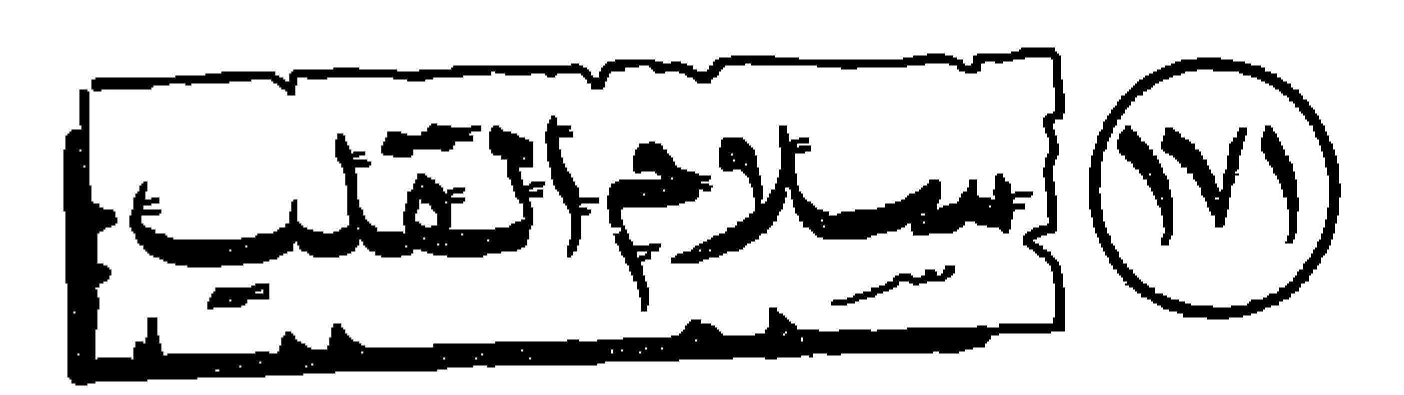
+ ومن وسائل قضاء وقت الفراغ : الحفظ . سواء حفظ الآيات ، أو الألحان ، أو المزامير والصلوات ، والتراتيل ، أو قطع

الابصلمودية ، أو استلام الألحان العامة والموسمية وحفظها .

+ **ومن الأمور النافعة لوقت الفراغ : فترات الخلوة.** سواء قضاها الشخص فى الأديرة ، أو فى أماكن أخرى ، على أن يكون لها منهج روحى يشعر الإنسان فى تطبيقه بمدى فائدته ونفعه الروحى .

+ **والبعض يؤدى أوقات الفراغ فى القيام بواجبات** اجتماعية مثل بعض الزيارات والمجاملات اللازمة المتأخرة عليه .





+ المفروض فى الإنسان الروحى أن يكون قلبه مملوءاً بالسلام والهدوء.

لا يضطرب من الداخل ، ولا من الخارج . بل يعيش فى سلام مع نفسه ، ومع الناس ، ومع الله .

+ السلام هو من ثمار الروح الرئيسية . فالرسول يقول : «ثمر الروح محبة ، وفرح وسلام ...» (غل ٥ : ٢٢) .

+ ما الذى يفقدنا سلامنا ؟ وكيف ننتصر ؟

+ أحياناً نفقد سلامنا ونتضايق ، عندما لا تسير الأمور حسب هوانا !

نريد أن نفرض إرادتنا على الناس ، وعلى الأحداث ، وعلى إرادة الله نفسه . وإن لم يحدث ما نريد ، نفقد سلامنا . فعلينا أن نعرف أنه ليس كل ما نطلبه يمكن تحقيقه . وربما يكون عدم تحقيقه

من خيرنا ...

+ وربما نفقد سلامنا ، بسبب متابعتنا لأخطاء الناس !

حتى لو لم تكن هذه الأخطاء موجهة إلينا ! فنحن نريد أن يسلك الناس حسبما نريد نحن لهم أن يسلكوا ، وإلاَّ نتضايق !

والأفضل لنا ولهم، من أجل حفظ سلامنا وسلامهم، ألاَّ نتدخل فى شئون الغير، وألاَّ نقيم أنفسنا رقباء على أعمالهم.

+ وقد يفقدنا سلامنا ، شعورنا بالظلم وبأننا فى موقف المعتدى عليه.

بشيء من الاحتمال ، يمكن لأى إنسان أن يعبر الظلم، فلا يفقده سلامه. كأن يعتبره إكليلاً ، معتقداً أن الله يحكم للمظلومين (مز ١٤٥).

ومن ناحية أخرى ، علينا أن نراجع أنفسنا ، فربما نكون نحن المخطئين، وليس هناك ظلم يستدعى فقدان السلام.

+ وربما نفقد سلامنا بسبب رغبات لنا لم تتحقق..

أو أنها تحققت فى غير المستوى الذى نريده. ولكن سعيد هو الإنسان الذى يفرح بما معه، ولا يضطرب بسبب التفكير فيما

ينقصه . إن القناعة طريق يوصل إلى السلام .

+ وقد نفقد سلامنا بسبب الخطية ..

أو بسبب خوفنا من نتائجها ، لأنه « لا سلام ، قال الرب للأشرار» (إش ٤٨ : ٢٢) . وعلاج هذا الأمر هو التوبة وانسحاق القلب .

+ وأحياناً نفقد سلامنا بسبب ضعف أعصابنا ، إن كانت مرهفة .

إننا نحتاج أن نحل مشاكلنا بإيماننا وبعقولنا وقلوبنا ، وليس بأعصابنا . إن اضطراب الأعصاب لا يحل المشاكل ، إنما يعقدها ويفقدنا سلامنا .

وأحياناً نفكر فى حدة المشكلة وعمقها وآلامها ، فنفقد سلامنا ونتعب ، والأصح أن نفكر فى حل المشكلة . فإن عرفنا الحل نستريح .

+ وربما نفقد سلامنا بسبب رغبتنا فى سرعة الحلول والوصول .

فإن تأخر الأمر نضطرب . بينما تحتاج الأمور إلى صبر وطول

بال ومدى زمنى لكى نصل إلى الحل بلا قلق .

+ وأحياناً الخوف والأعصاب المتعبة وتوقع الشر، تضخم لنا المشاكل فنتعب .

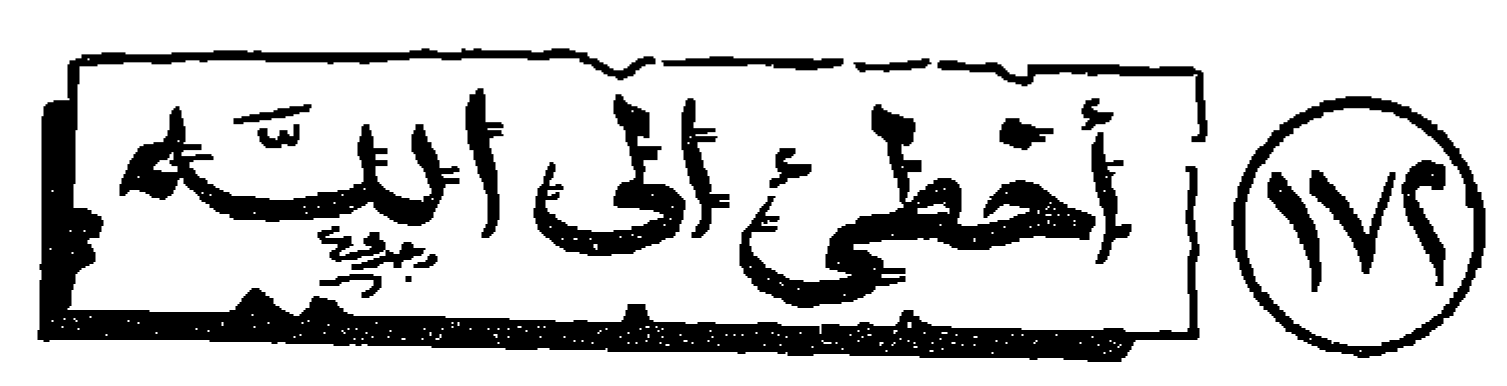
وربما يكون الأمر أسهل مما نتخوف بكثير. ولكن الخوف سبب بارز لفقدان السلام. فالخائف قد يتصور متاعب ومخاطر لا وجود لها .

+ وقد نفقد سلامنا بسبب الظروف الخارجية إن كنا سهلى التأثر.

فلنكن أقوياء فى الإيمان والاحتمال ، كالصخرة التى تلطمها العواصف فلا تؤذيها . ولا يجوز أن تثيرنا أية كلمة أو تصرف .

+ وقد يفقد الإنسان سلامه بسبب أفكاره أو قلة ذكائه ...

إن كان كثير الظنون ، أو سريع الشك ، أو قليل الحيلة ، عاجزاً عن التصرف السليم ، ضعيف الإيمان فى معونة الله وحلوله .



يظن إنسان انه حينما يخطىء ، إنما يخطىء إلى الآخرين ، مثل الذى يسرق أو يقتل أو يظلم ... أو أنه يخطىء إلى نفسه مثل الذى يهمل فى دراسته ، أو فى صحته ، أو يضيع مستقبله على الأرض أو فى الابدية ، بطريقة ما ...

ولكن خطورة الخطية ، هى أن الإنسان يخطىء إلى الله !

ولذلك قال داود للرب فى المزمور الخمسين : « لك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت » (مز ٥١ : ٤) .

ولم يقل داود إنه أخطأ ضد بثشبع ، أو ضد أوريا الحثى ، أو ضد عفته الشخصية ...

وكذلك يوسف الصديق ، حينما عُرضت عليه الخطية ، رفضها قائلاً : « كيف أصنع هذا الشر العظيم ، **وأخطىء إلى الله** » (تك ٣٩ : ٩) . ولم يقل يوسف إنى أخطىء إلى فوطيفار وامرأته !

إلى هذا المستوى من العمق ، كان فهم يوسف الصديق .

الخطية هى عصيان لله ، وتمرد عليه ، وكسر لوصاياه ...

لذلك قيل فى الكتاب إن الخطية هى التعدى. مَنْ يفعل الخطية يفعل التعدى أيضاً (١ يو ٣ : ٤) . وقيل كذلك :

« أبتعدى الناموس **تهين الله**؟ لأن اسم الله **يجدف عليه** بسببكم بين الأمم » (رو ٢ : ٢٣ ، ٢٤) .

من أجل هذا كله كانت الخطية خاطئة جداً (رو ٧ : ١٣) . .

الخطية انفصال عن الله ، خروج من عشرته ومحبته وملكوته .

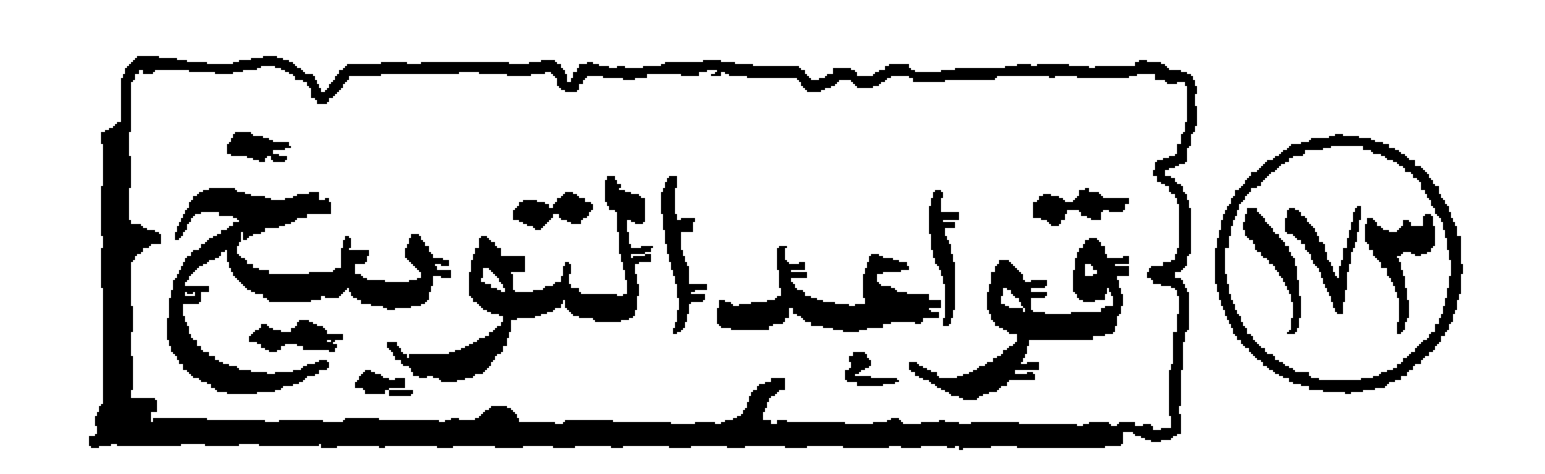
لأنه « أية شركة للنور مع الظلمة ، وأى اتفاق للمسيح مع بليعال » (٢ كو ٦ : ١٤ ، ١٥) . الذى يخطىء ينفصل عن الله ، كما انفصل الابن الضال عن بيت أبيه وتركه .

بل الخطية هى عداوة لله . لأنها محبة للعالم . والرسول يقول : « محبة العالم **عداوة لله** » (يع ٤ : ٤) . إنها **احتقار** لوصية الله . ولهذا قيل لداود النبى : « لماذا احتقرت كلام الرب ، لتعمل الشر فى عينيه ... لأنك احتقرتنى وأخذت امرأة أوريا الحثى » (٢ صم ١٢ : ٩ ، ١٠) .

حتى حينما تخطىء إلى نفسك ، إنما **تخطىء إلى صورة الله .**

وحينما تخطىء إلى جسدك ، إنما تخطىء إلى هيكل الله الذى هو أنت . لذلك يقول الرسول : «إن كان أحد يفسد هيكل الله ، فسيفسده الله . لأن هيكل الله مقدس ، الذى أنتم هو» (١ كو ٣ : ١٧) .

لهذا كانت الخطية غير محدودة ، لأنها ضد الله غير المحدود .



قد يلجأ البعض إلى توبيخ غيره ، عملاً بقول القديس بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس الأسقف : «عظ وبخ انتهر» (٢ تى ٤ : ٢) . وأمام هذا التوبيخ نضع بعض ملاحظات :

١ - هل هذا المنتهر له سلطان الانتهار ، كما كان للقديس تيموثاوس الأسقف؟ وهل الذى يقوم بتوبيخه هو تحت مسئوليته الروحية؟ وهل هو أصغر منه أم أكبر؟

٢ - ما هو أسلوب التوبيخ ؟ هل هو بقسوة وعنف؟ هل هو بطريقة جارحة مهينة؟ هل هو بطريقة منفرة.

إن بولس الرسول قال لكهنة مدينة أفسس : « متذكرين أننى ثلاث سنين ، ليلاً ونهاراً لم أفتر أن أنذر بدموع كل واحد» (أع ٢٠ : ٣٠).

٣ - لذلك إن انتهرت أحداً ، فليكن ذلك بتواضع وحب. لا تنتهر بسلطان ، ولا بتعالٍ وكبرياء. إجعل التوبيخ يأخذ أسلوب النصيحة الهادئة ، وليس أسلوب التجريح.

٤ - لا تنتهر - مَنْ هم تحت سلطانك - على كل خطأ ...

فداود النبى يقول للرب : « إن كنت للآثام راصداً يارب ، يارب مَنْ يثبت ، لأن من عندك المغفرة» (مز ١٣٠ : ٣).

إن توبيخك على كل خطأ ، يوقع غيرك فى صغر النفس ، وتبدو أنت أمامه كمَنْ يتصيد له الخطأ ...

٥ ـ لا توبخ أمام الآخرين ، ففى هذا لون من الحرج .

ويستثنى الكتاب من هذه القاعدة الخطايا المعروفة للكل . فالمستهترون الذين يخطئون بلا مبالاة أمام الكل ، يقول الرسول : « وبخهم أمام الجميع لكى يكون عند الباقين خوف » (١ تى ٥ : ٢٠) .

أما الخطايا التى تحدث فى الخفاء ، وبخ عليها فى الخفاء .

٦ ـ ليكن توبيخك باقناع ومحبة ...

اقنع مَنْ توبخه ، بأنك تحبه وتخاف عليه ، وأنك تكلمه من أجل فائدته . وليس توبيخك ناتجاً عن عداوة أو احتقار !

٧ ـ يمكن أن يكون التوبيخ بطريقة غير مباشرة :

بحيث يكون فيها عنصر التلميح أكثر من التصريح . أو يكون ذلك بطريقة إيجابية ، بشرح فوائد الطريق الروحى العكسى لما حدث .

٨ ـ يمكن أن يسبق التوبيخ مديح ، ويعقبه تشجيع .

وقد سلك الرب بهذا الأسلوب مع المرأة السامرية ، دون أن يجرحها (يو ٣ : ١٧ ، ١٨) .

(١٧٤) يكشف عنصره

يظل الإنسان مخفياً ، غير معروفة دواخله ، غير معروفة حقيقة نفسه ، إلى أن يدخل فى محك الخبرة العملية ، فتكشفه ..

ولا نقصد خبرة سنوات طويلة ، وإنما يحدث حادث واحد فيكشفه ، فمثلما حدث مع أبينا آدم وأمنا حواء ...

أو يدخل شيء جديد على حياته ، فيظهر كل ما فى داخله .

١ - **يغتنى مثلاً ، فيكشفه المال** ، ويبيّن صفات فيه لم تكن واضحة من قبل . وكما قال الشاعر :

كلما صديقى صار من أهل الغنى　　　أيقنت أنى قد فقدت صديقى

قد يكشف المال إن كان فى هذا الإنسان بخل أو إسراف ، أو شهوات . أو إن كان فيه كرم ، أو حب للخير ، أو عطف على الفقراء . وقد يكشف المال إن كانت فيه محاولة للسيطرة عن طريق المال ...

٢ - **وهذا الإنسان أيضاً قد تكشفه المناصب أو السلطة ..**

تكشف إن كانت فيه كبرياء أو خيلاء ، أو تسلط أو اعتداد بالذات ، أو قسوة أو عنف ، أو محاباة أو ظلم . كل ذلك تكشفه المناصب والسلطة...

كذلك تكشف إن كانت له كفاءة أو عبقرية أو استخدم السلطة للخير والنفع العام ومحبة الناس .

وأيضاً إن كان فى هذا الإنسان عجز ، أو سوء تصرف ، أو سوء إدارة ، فإنه يظهر أيضاً .

٣ ـ الكلام أيضاً يكشف الإنسان من حيث عقليته ومعلوماته :

إنسان صامت ، لا تعرف حقيقته . فإن تكلم يكشفه الكلام . لغته تظهره . وهكذا يقول الكتاب : إن صمت الجاهل يحسب حكيماً .

٤ ـ المشاكل أيضاً تكشف طبيعة الذى يتعرض لها :

مشكلة واحدة يتعرض لها شخص ، تظهر حقيقته إن كان قوى النفس يحتمل ، وإن كان ذكياً يحسن التصرف ، أو إن كان سريع الاضطراب والانزعاج ، يخاف و يقلق و ييأس بسرعة أو ينهار...

٥ ـ إنسان آخر يكشفه الزواج أو التعامل عموماً .

خارج التعامل ما كان يعرفه الناس على حقيقته . ولكنهم عرفوه بعد تعامله مع الناس ، أو مع زوجته وحماه وحياة عائلية .

٦ ـ ربما إنسان يتكلم نظرياً عن المبادىء والقيم . فإن أعطيت له فرصة عملية لتطبيق ما يؤمن به ، حينئذ تظهر حقيقته .

(١٧٥) الهدف، والوسيلة

فى كل أعمال الإنسان ، لا يكفى أن يكون الهدف مقدساً ، وإنما يجب أيضاً أن تكون الوسيلة سليمة .

وكثيراً ما يخطىء الإنسان ويفشل ، لأن وسائله خاطئة .

مثال ذلك أب يريد تربية ابنته وحفظها فى اخلاق قويمة ،

ولا شك أن هذا هدف صالح . ولكن هذا الأب قد يخطىء إذا لجأ إلى طرق منفرة لتحقيق هذا الغرض، مثل القسوة، وتحديد الإقامة، والرقابة، ورصد الحركات، بحيث تشعر ابنته أنها فى سجن، وأن أباها مجرد سجان، وتكره فيه هذا الأسلوب فى التربية .

وبنفس الوضع كثير من الذين يحفظون النظام فى الكنائس :

هدف سليم لا شك فيه . ولكن الخطأ يأتى من الوسيلة، إن كان فيها شىء من السيطرة أو العنف، أو الانتهار وعلو الصوت، أو الشدة التى لا داعى لها، أو التضييق الذى لا يتطلبه مطلقاً حفظ النظام .

ويدخل تحت هذا العنوان أيضاً، أخطاء فى الوعظ :

إن دعوة الناس إلى الفضيلة والخلق الكريم، هدف سليم لا يناقشه أحد . والاهتمام بهذا فى الوعظ، هو لون من الغيرة المقدسة . ولكن يأتى الخطأ من الوسيلة ...

وذلك إن كان فى الوسيلة أسلوب التهكم أو الشتيمة، أو

التوجيه الجارح، أو التعريض بالبعض، أو المغالاة. كذلك إن كـان التعليم مبنياً على الحرفية غير المقبولة، وعدم مراعاة ظروف الناس وامكانياتهم، أو محاولة تحميلهم فوق ما يطيقون، كما كان يفعل الفريسيون (مت ٢٣ : ٤).

إن الغرض المقدس، من المفروض أن تكون وسيلته مقدسة لا عيب فيها. وخصوصاً إن كان ذلك فى المجال الدينى، أو كان صادراً من رجال الدين. لذلك قال الكتاب:

« رابح النفوس حكيم » (أم ١١ : ٣٠).

وقال الكتاب: « اصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة » (غل ٦ : ١). وقيل أيضاً: « فى وداعة الحكمة » (يع ٣ : ١٣). وقيل كذلك: « لتصر كل أموركم فى محبة » (١ كو ١٦ : ١٤).

إن المحبة والوداعة والحكمة من الوسائل السليمة المحببة.



ليس هو مجرد الكبير في السن ...

فقد ألقى الله هذه القاعدة حينما اختار صغاراً فى السن، وجعلهم فى مكان القيادة والرئاسة.

اختار **داود** الصغير، أصغر اخوته جميعاً، وفضله على السبعة الكبار، ومسحه ملكاً على شعبه، وحل عليه روح الرب (١ صم ١٦).

واختار **يوسف** الصغير، وجعله أباً لفرعون وكل بيته (تك ٤٥ : ٨). وسجد له كل أخوته (تك ٣٧ : ٩، ١٠).

واختار الله **سبط لاوى** ليكون منه الكهنوت، **وسبط يهوذا** ليكون له المُلك. ولم يختر رأوبين البكر (تك ٤٩ : ٣، ٤).

واختار **يعقوب** الذى هو أصغر من عيسو، ليقال له فى البركة: «كن سيداً لاخوتك، وليسجد لك بنو امك» (تك ٢٧ : ٢٩).

واختار الله **يوحنا المعمدان** الذى جاء متأخراً بعد كل أنبياء العهد القديم. وقال عنه إنه لم تلد النساء مَنْ هو أعظم من يوحنا المعمدان (مت ١١ : ١١).

إذن مَن هو الكبير بالنسبة إلى المقاييس الإلهية ؟

الكبير هو الكبير فى قلبه ، وهو الكبير فى حبه.

هو الذى يستطيع - بعمل النعمة فيه - أن يكون أكبر من الخطأ. وأن يكون كبيراً فى روحه وفى مثالياته...

الكبير هو الكبير أيضاً فى عقله ، فى حكمته وافرازه.

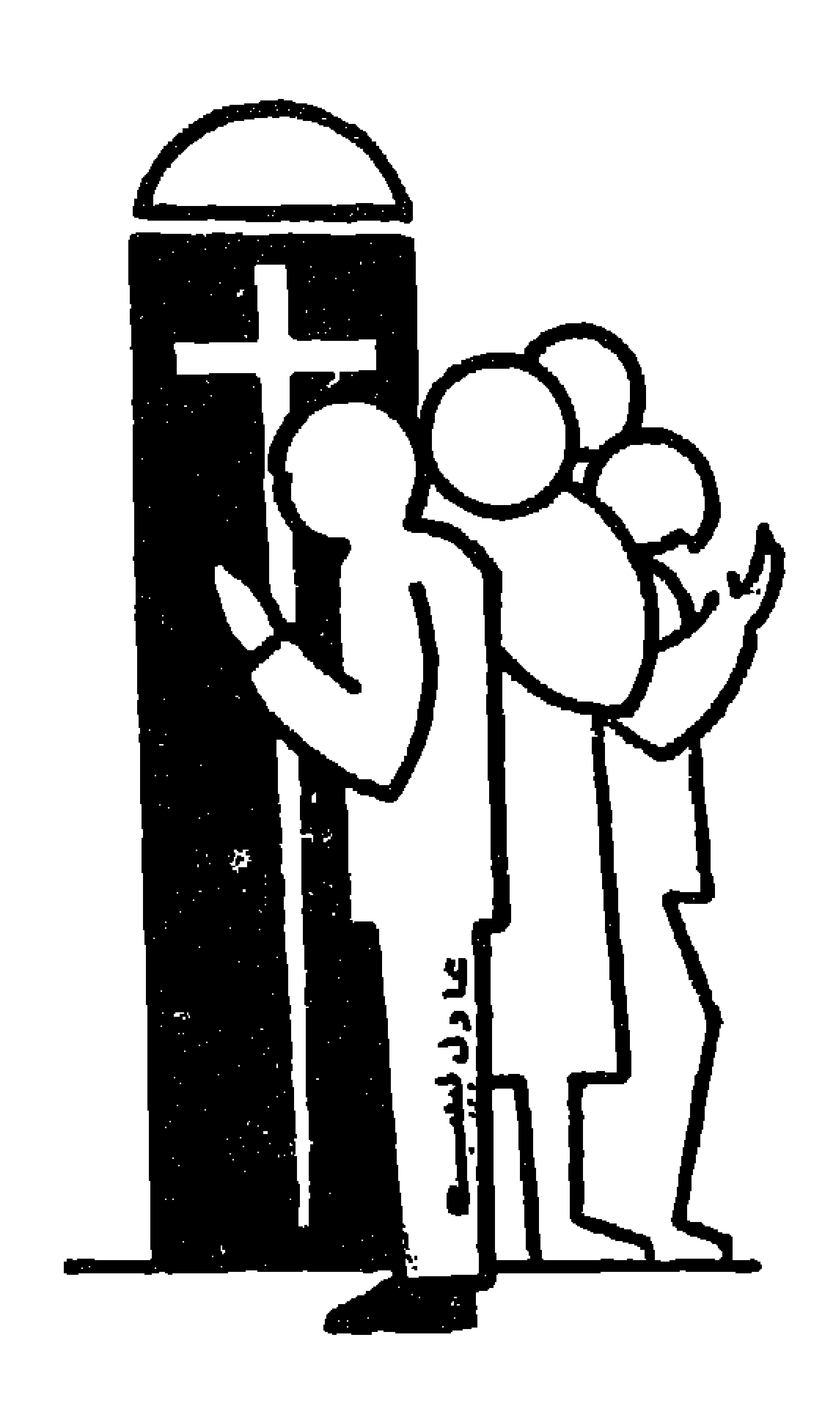
هو أكبر من الجهالات ، وهو أكبر من الانفعالات. أكبر من أن تثيره كلمة ، وأكبر من أن تسقطه عثرة.

وباختصار ، هو الكبير فى شخصيته ، لا الكبير فى سنة.

لم يكن بولس الرسول هو أقدم الرسل ، ولا أولهم فى الدعوة. ولم يتتلمذ على السيد المسيح ضمن الاثنى عشر ، ولا ضمن السبعين ، ولا طول فترة تجسد السيد على الأرض... ومع ذلك استطاع أن يقول : «تعبت أكثر من جميعهم» (١ كو ١٥ : ١٠). ومع انه جاء أخيراً ، إلاَّ انه صار رسول الأمم ، رسول الغرلة.

إذن لا تفتخر بأنك الكبير حسب السن ، أو حسب الأقدمية فى الخدمة، الأمرين اللذين لم يتصف بهما بولس الرسول.

بل كن كبيراً فى عمق خدمتك ، وفى تأثير شخصيتك على الناس. كن كبيراً فى بَذْلِكَ وعطائك، كبيراً من جهة الحصاد الذى يحصده الله من أرضك.



١٧٧ من له أذنان

هكذا قال السيد المسيح : « مَن له اذنان للسمع ، فليسمع » (مت ١٣ : ٤٣)... ذلك لأن هناك مَن لهم آذان ، ولكنها لا تسمع . وعن أمثال هؤلاء قال السيد : «لأنهم مبصرين لا يبصرون ، وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون » ... فقد تمت فيهم نبوة إشعياء القائلة : « ... قلب هذا الشعب قد غلظ . وآذانهم قد ثقل سمعها » (إش ٦ : ١٠) .

فما السبب فى أن هؤلاء لهم آذان ولكنها لا تسمع ؟

السبب الأول هو أن قلوبهم قد غلظت ، محبتهم قلَّت ...

الذى يحب الله ، يحب أن يسمع عنه . والذى يحب الخير يحب أن يسمع عنه . فإن فقد هذا الحب ، أو انشغل قلبه بمحبة مضادة ، فإنه لا يحب أن يسمع عن الله ، ولا عن الفضيلة ... يصير السماع ثقيلاً على أذنيه .

وإن قيل له شىء ، لا يدخل اذنيه ، ولا يدخل فكره ولا

قلبه. انه ليس على مزاجه... كالشاب الغنى (مت ١٩ : ٢٢).

« سامعين لا يسمعون » مثل أهل سادوم، حينما انذرهم لوط. «وكان كمازح فى أعين أصهاره» (تك ١٩ : ١٤).

أو مثل الابيقوريين والرواقيين الذين كلمهم بولس الرسول، فقالوا: «ترى ماذا يريد هذا المهذار أن يقول؟!» (أع ١٧ : ١٨).

لعل هذا المثل يذكرنا أن الكبرياء تمنع الاذن من السماع.

« الذات » الـ Ego تقف حائلاً دون سماع كلمة الله. هكذا كان كلام السيد المسيح يكشف رياء الكتبة والفريسيين، ويقدم تعليماً أعلى من تعليمهم، كما كان كلام الرب فيه الروح، بينما كلامهم فيه الحرفية. لذلك كانوا لا يريدون أن يسمعوه.

إن العناد أيضاً أو التشبث بالرأى، يمنع الاذن من السماع.

مهما كان الرأى قوياً ومقنعاً، فإن الاذن لا تسمعه، مادام

الإنسان متشبثاً برأيه. ولذلك فإن بعض كلام المسيح ما كان الكتبة يرفضون سماعه فحسب ، بل كانوا يرفعون الحجارة ليرجموا قائله (يو ١٠ : ٣١). وكانوا يصفونه بأنه ضال، ومضل، ومجدف !!

الخوف أيضاً يمنع الاذن من أن تسمع .

كان بيلاطس يعتقد أن السيد المسيح برىء ، بل وانه بار (مت ٢٧ : ٢٤)، ومع ذلك منعه الخوف من أن يستفيد من نصيحة زوجته له: «إياك وهذا البار» (مت ٢٧ : ١٩). ولعل الخوف أيضاً منع كثيراً من ولاة الرومان من الإيمان. الخوف سد آذانهم.

ما أجمل قول الرب لتلاميذه الأطهار : «أما أنتم فطوبى لآذانكم لأنها تسمع» (مت ١٣ : ١٦).

إنها الاذن التى ينبع سماعها من قلب فيه إيمان وتسليم ، وفيه حب ، وفيه اتضاع قلب لا يعاند ولا يرفض ولا يتشبث بحكمة بشرية وبمعرفة خاصة. وفيه رغبة للسماع مثل مريم أخت مرثا. أما النوع المضاد فيرفض كل نصيحة وكل كلمة..! له آذان ولكنها ليست للسمع!

١٧٨ الاعتداد بالذات

الإنسان المعتد بذاته ، قد يصل إلى درجة تكون خطرة عليه ، ومتعبه لكل مَن يتعامل معه .

فهو قد يثق برأيه ثقة تجعله لا يقبل فيه نقاشاً ، كما لا يقبل التنازل عن رأيه مهما كان الرأى المضاد له مقنعاً ..! وهو لا يقبل أن يكون هناك رأى مضاد . ويعتبر مواجهته برأى آخر أهانة صارخة لا تقبلها كرامته !

فالرأى له وحده . ورأيه له عصمته ، التى لا تخطىء !

وهكذا يصل فى تفكيره إلى لون من التشبث والعناد ..

وبهذا الأسلوب ينفض من حوله كل مَن له فكر ، وكل مَن يحب أن يستخدم عقله ، ولا يبقى حوله إلاَّ مجموعة من المريدين الذين ينقادون إلى كل ما يقول ، فى طاعة عمياء .

والمعتد بذاته يكلم الناس دائماً من فوق ...

يرى فى نفسه انه وصل إلى مستوى فوق مستوى الآخرين ، فهو لا يكلمهم إلاَّ ناصحاً ، أو آمراً ، أو مشيراً ، أو موبخاً لهم على أخطائهم... مهما كان هؤلاء ، ومهما كان سنهم أو مراكزهم !

وبهذا المسلك يمكن أن يخطىء إلى غيره ...

وقد يفعل ذلك بلا مبالاة ، دون أن يوبخه ضميره ، لأنه فى اعتداده بذاته لا يشعر مطلقاً انه أخطأ !!

لذلك فهو لا يعتذر مطلقاً على خطأ قد ارتكبه ...

المعتد بذاته ، يصل به الأمر إلى تأليه ذاته !!

وما أكثر (الآلهة) الذين يتمشون على الأرض !

ويرى كل منهم أنه مُصيب على طول الخط . وإذا اختلف معه أحد ، فلا بد ان هذا الأحد هو المخطىء .

ما أسباب الاعتداد بالذات ؟

ربما بعض مواهب منحها الله له ، فاستغلها لضرر نفسه .

أو قد يكون قد نجح فى مناسبات معينة ، فارتفع قلبه بهذا النجاح ، ولم يعطِ مجداً لله .

أو ربما فى قلبه كبرياء قديمة ، هذا الأعتداد من مظاهرها ، أو من الجائز أن تكون فى تربيته نواح من التدليل.

أياً كان السبب ، فالاتضاع هو علاج الاعتداد بالذات. يدفعه إلى علاج نفسه أيضاً، الخوف من أن يخسر الكل.

١٧٩ أنت أم الآخرون؟

إن الله قد أعطاك نفسك لكى تكون مسئولاً عنها أمامه، كوكيل استؤمن على وكالة. فهل أنت منشغل بها أم أنت منشغل بالآخرين.

فى حدود مسئولية خدمتك ، إن كانت لك خدمة ، لا مانع. وذلك أيضاً فى نطاق المحبة التى هى مثل الله «تريد أن الجميع يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون» (١تى ٢ : ٤).

وشرط آخر هو أنك لا تهمل نفسك ، ولا تنسى ابديتك ، ولا تجعل الاهتمام بالآخرين يفوق اهتمامك بنقاوة قلبك وتعميق علاقتك بالله ومحبته.

وأيضاً احذر من شيطان العظمة الذى يوحى إليك بالرغبة فى تدبير الآخرين ، كما لو كنت قد أقمت عليهم رقيباً !!

وفى هذا الأمر تذكر قول الشيخ الروحانى :

إن حوربت بهذا ، انظر إلى مشاعرك وحواسك وأفكارك ، وقل هذه هى التى أقامنى الله عليها رئيساً ، لكى ادبر أهل بيتى حسناً.

إن الله أعطاك قوة غضبية لكى توجهها إلى أخطائك أنت ، فتصلح من ذاتك ، وتثور على سقطاتك. وفى هذا تنفذ وصية الرب فى المزمور «إغضبوا ولا تخطئوا».

أما إن وجهت كل ما عندك من غضب إلى غيرك ، فسوف تخطىء. و يقول لك الرب : اخرج الخشبة من عينك أولاً ، وحينئذ تبصر جيداً ، فتخرج القذى من عين أخيك.

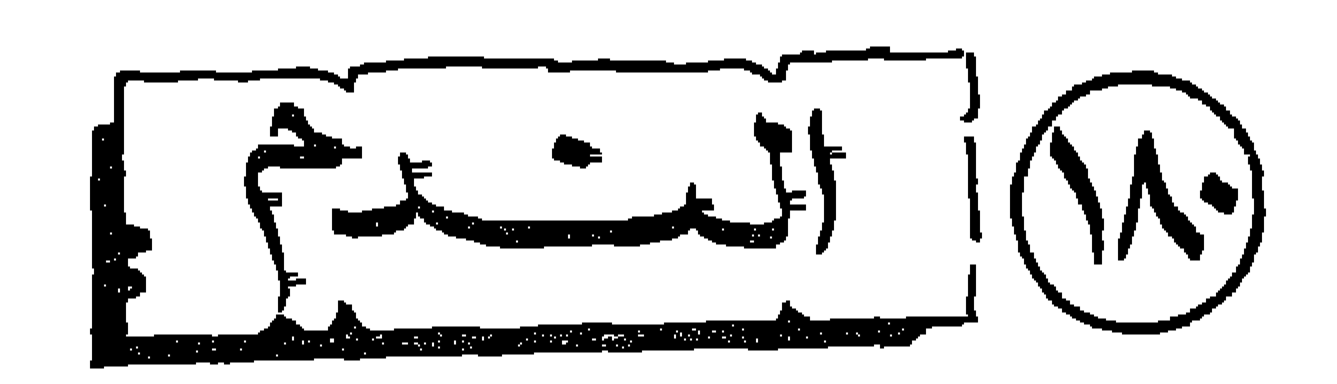
كذلك أيضاً طاقة الإدانة وجهها إلى نفسك لا إلى غيرك.

إن وجدت نفسك ميالة أن تنتقد ، وتنظر إلى النقط السوداء ، قل لها لا مانع . عندى لكِ فى ذاتى نقط سوداء كثيرة ، إنشغلى بانتقادها . وحينئذ سوف لا يبقى لكِ وقت لكى تنتقدى فيه أخطاء الآخرين...

اكرز أولاً فى أورشليم ، قبل أن تكرز فى السامرة ، وفى أقاصى الأرض ، أعنى فى نفسك ، قبل أن تبعد بعيداً إلى الآخرين فى كل مكان .

وثق انك إن اهتممت بنفسك وبنقاوتها وبروحياتها وابديتها ، حينئذ تكون مثالاً حسناً للباقين وقدوة صالحة . وإن انشغلت بغيرك ، فسيكون ذلك بأسلوب روحى لا عيب فيه .





١٨٠ الندم

كثيرون يتصرفون تصرفات يعودون فيندمون عليها بعد فعلها، إما بسبب النتائج السيئة لهذه التصرفات، أو بسبب تعب ضمائرهم وثورتها عليهم، أو لأنهم لا يستطيعون أن يعيدوا الأمور إلى ما كانت عليه قبل أخطائهم هذه.

ويزداد الندم كلما يشعر المخطىء ببشاعة خطيئته وبفداحة ذنبه، مثلما فعل يهوذا، ومثلما قال قايين: «ذنبى أعظم من أن يحتمل» (تك ٤ : ١٣).

ويزداد الندم أيضاً إن شعر الإنسان انه لا فائدة. مثل كلمة قالها، ولا يستطيع أن يسترجعها، أو أن ينزعها من آذان السامعين ومن أذهانهم، مهما اعتذر...

التصرفات الخاطئة التى يندم عليها الإنسان، قد يكون سببها السرعة والاندفاع وعدم التروى، وقد يكون سببها عدم الاسترشاد بأحد قبل التصرف. وقد يكون التصرف البشع

الخاطىء بسبب الغضب واشتعال الثورة الداخلية، وعدم ضبط النفس، وعدم حسبان النتائج، أو عدم التفكير فيها على الإطلاق.

وكما يندم الإنسان لأنه تصرف باندفاع وبسرعة وبغير مشورة، قد يندم أيضاً لأنه انقاد إلى شهواته أو رغباته، ولم يضع الله أمامه، ولم يضع أمامه كرامته كصورة الله.

وقد يندم الإنسان لأنه لم يحسب حساب المستقبل، حينما تصرف بلامبالاة، أو بتراخ وتهاون وكسل.

على أن الندم له فائدته إن كان يقود إلى التوبة وإلى تصحيح مسار الحياة. وله فائدته أيضاً إن أوصل الإنسان إلى حياة الاتضاع والانسحاق، كما حدث مع داود النبى الذى كان فى كل ليلة يُبلل فراشه بدموعه. وكما حدث مع بولس الرسول الذى قال: «أنا الذى لست مستحقاً أن ادعى رسولاً، لأنى اضطهدت كنيسة الله» (١ كو ١٥ : ٩).

الندم قد ينفع هنا، ولكنه فى الأبدية يتحول إلى عذاب.

حيث لا كلّ، ولا حلّ. لا توبة، إذ قد انتهى زمان التوبة

« واغلق الباب » (مت ٢٥ : ١٠) كما قيل فى مثل العذارى الجاهلات ، اللائى سمعن من الرب عبارة : « انى لا اعرفكن » !

تحول الندم إلى « البكاء وصرير الأسنان » (مت ٢٥ : ٣٠).

فاجتهد الآن على الأرض ، قبل الوقت الذى لا ينفع فيه الندم. فهذا نصيب الذين لا يعملون الآن ، كما قال الشاعر:

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط فى زمن البذر

(١٨١) العين النقادة

العين النقادة لا ترى إلاّ الخطأ فقط ، ولا تبصر كل النقط الأخرى البيضاء. ولذلك فإن حكمها لا يكون دقيقاً ولا يكون عادلاً ، ولا يعطى صورة سليمة.

العين النقادة قد تنقد كل أحد أياً كان ، وربما لا يسلم منها أحد.

ومهما كان الإنسان باراً أو ذا رأى سليم ، لا بد أن تجد فيه شيئاً يستحق النقد . وقد صدق المثل الذى يقول : " مَن بحث عن عين وجده " .

العين النقادة يعوزها الحب ، و يعوزها الاتضاع .

فالإنسان المحب لا يقابل كل شيء بانتقاد . والكتاب المقدس يقول لنا إن المحبة لا تقبح ولا تظن السوء (١ كو ١٣) .

والإنسان المحب يخفى أخطاء غيره ولا يشهرها ، و يلتمس عذراً لكل أحد فيما يصدر عنه من نقائص . وإن لم يستطع ، يعاتب فى هدوء ، فى جو من النصح المفيد .

وكما أن الإنسان المحب لا ينتقد كثيراً ، كذلك الإنسان المتواضع . فإنه ينظر إلى عيوبه الخاصة ، لا إلى عيوب غيره .

وقد نصحنا السيد الرب بأن ينظر كل أحد إلى الخشبة التى فى عينيه ، وليس إلى القذى الذى فى عين أخيه .

والإنسان المحب المتواضع ، إذا اضطر إلى النقد ، تكون هذه حالة خاصة بالنسبة إلى أمر خطير .

ولا يكون النقد هو الخط الدائم الثابت فى حياته ، الذى يصبح شيئاً من طبعه فى معاملاته .

لأن العين النقادة ، تنتقد بلا هوادة ، ولا يوجد شيء جميل في عينيها إلاّ ذاتها وحدها .

إنها ترى الشوك الذي يحيط بالوردة فتنتقده . وفي أثناء هذا الانتقاد تتجاهل الرائحة الذكية التي للوردة .

ولذلك فالعين النقادة لا تكون محبوبة من الناس . بل يحترس منها الكل . يقول كل واحد : لعلها تصيبني أنا أيضاً !

كما أن العين النقادة كثيراً ما تتصرف بلا فحص ، وبلا تحقق وبلا تدقيق . وربما ترى عيباً حيث لا يوجد عيب !

أما الإنسان العادل ، الذي لا يحكم قبل الفحص ، والإنسان الطيب الذي لا ينقد كل شيء ، عارفاً أن الكمال هو لله وحده ... فهذا يكون محبوباً من الجميع .



علاقتك بالخير ، تتركز فى أربع نقاط أساسية وهى :

١ ـ أن تعرف ما هو الخير.

٢ ـ أن تريده ، وتحبه .

٣ ـ أن تحوله إلى حياة .

٤ ـ أن تحوله إلى حياة .

١ ـ أما لزوم معرفة الخير ، فذلك لأن كثيرين يخطئون عن جهل . أو أنهم يقفون أحياناً فى مفترق الطريق ، لا يعرفون أين الاتجاه السليم . ومعرفة الخير تحتاج إلى حكمة وإفراز، أو هى تحتاج إلى إرشاد وتوعية ...

٢ ـ ولكن معرفة الخير وحدها لا تكفى ، إن لم تكن لديك رغبة فى اتباع طريق الخير . فكثيرون تسيرهم شهواتهم ، على الرغم من معرفتهم أنها شهوات خاطئة ، وأنها تضرهم . إلاَّ أن الرغبة فى تركها ليست موجودة داخلهم .

أخطر ما فى الخطية ، أن الإنسان يحبها ويتعلق بها ، ولا يريد أن يتركها . ويعرف أن التوبة خير، ولكنه لا يريدها !

تعريف الإنسان بأن هذا الأمر خطية ، هو دور الاقناع العقلى . يبقى بعده التأثير على عواطفه وميوله ورغباته ، لكى يشتهى بقلبه هذا الذى اقتنع به بعقله .

وهنا ننتقل إلى الخطوة العملية وهى التنفيذ . وهذه إما تبدأ مباشرة إن كان التهاب القلب بالتوبة شديداً. أو تبدأ بالتداريب الروحية ، وتمر فى دور تدريجى ...

الابن الضال لم يكتف باقتناعه بأنه فى طريق خاطىء يلزم أن يغيره ، ولم يكتف بالتهاب قلبه بالعودة إلى بيت أبيه ، إنما بدأ بالتنفيذ ، فقام وذهب إلى أبيه .

الذين تحملهم النعمة حملاً ، قد لا يحتاجون إلى تداريب ...

ولكن غالبية الناس تقف أمامهم عوائق من طباع وعادات ، وأيضاً عوائق من تأثيرات خارجية ، ويحتاجون إلى صراع مع أنفسهم من الداخل ، وصراع مع الحروب التى تأتى من الخارج .

فإن درب الإنسان نفسه عملياً على طريق الخير ، وسار فيه ، عليه إذن أن يثبت ، ولا يرجع إلى سيرته القديمة ، و يتحول حب الخير إلى طبع فيه . وهذا يحتاج إلى وقت وإلى عمل النعمة .

١٨٣ كانوا بركة

هناك أشخاص عاشوا على الأرض وكانوا بركة ...

لعل من أمثلتهم **أبونا إبراهيم** أبو الآباء الذى قيل له : « فأجعلك أمة عظيمة ، وأباركك وأعظم اسمك ، **وتكون بركة** » (تك ١٢ : ٢) .

ومن قبل أبينا إبراهيم كان **أبونا نوح** ، الذى بسببه أبقى الله حياة على الأرض لما أهلكها بالطوفان (تك ٦) . فهلك كل حى على الأرض . وكادت تفنى البشرية كلها ، لولا نوح ، الذى صار أباً للبشرية بعد آدم ...

ونقرأ عن أشخاص فى الكتاب المقدس كانوا بركة فى المكان الذى حلوا فيه. ومنهم **يوسف الصديق** الذى صار بركة فى بيت فوطيفار. وقال الكتاب فى ذلك: «ورأى سيده أن الرب معه، وان كل ما يصنعه كان الرب ينجحه بيده... فوكله على بيته، ودفع إلى يده كل ما كان له» (تك ٣٩: ٣، ٤).

وكذلك كان يوسف بركة فى أرض مصر، وبسببه انقذ الله مصر وكل البلاد المحيطة من المجاعة.

وبالمثل كان إيليا النبى بركة فى بيت الأرملة ...

بسببه بارك الله زيتها ودقيقها، فلم يفرغ كوز الدقيق ولا كوز الزيت طول سنى الجوع (١مل ١٧: ١٦).

وكان اليشع النبى - بالمثل - بركة فى بيت المرأة الشونمية، وكانت تشعر بهذا، ولذلك عرفت أنه بسببه وبصلاته أعطاها الله نسلاً. وبصلاته أيضاً أقام ابنها من الموت.

زيارة العذراء لمصر حاملة المسيح، كانت بركة لمصر.

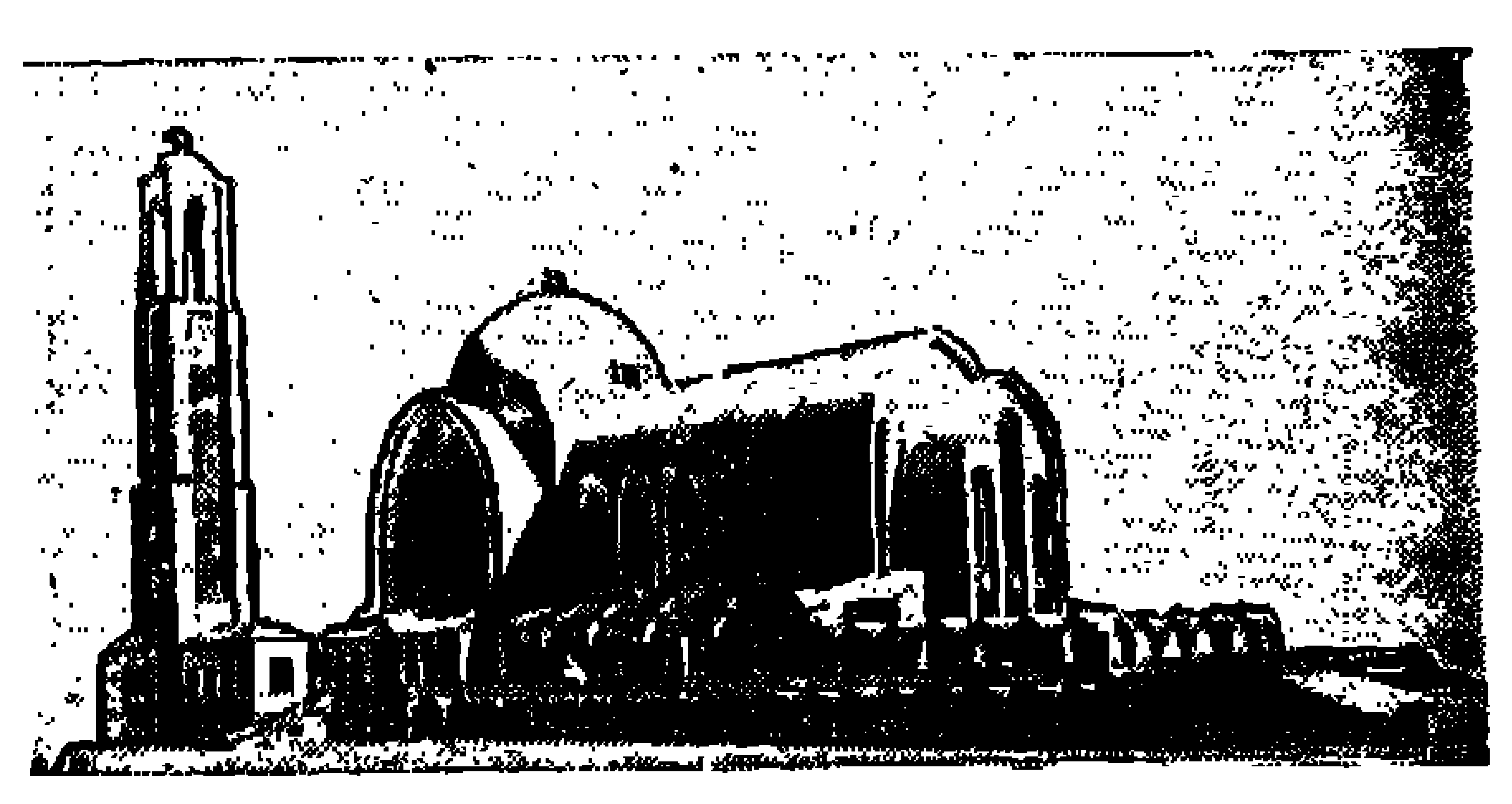
بسبب هذه الزيارة تحطمت كثير من أصنام مصر، ودخل الإيمان فى قلوب البعض. وفيما بعد تأسست كنائس فى كل

أماكن الزيارة. ومازالت بركة العذراء فى مصر لليوم، ومازالت بركة المسيح نفسه فى بلادنا.

نذكر أيضاً بركة الشهداء فى بلادنا، وبركة الآباء المتوحدين والسواح، الذين باركوا أماكن عديدة بصلواتهم وبحياتهم المقدسة. وصارت أماكن نسكهم ووحدتهم يقصدها الناس لنوال البركة...

يذكرنا هذا ببركة « العشرة » الذين قال عنهم الرب فى اهلاك سادوم: «**لا أهلك المدينة من أجل العشرة**» إن وجدوا (تك ١٨ : ٣٢).

نذكر أيضاً **بركة العشور** فى أموالنا، إن دفعناها، **وبركة يوم الرب** فى حياتنا، إن قدسنا هذا اليوم...



(١٨٤) ثلاث نصائح فى التجارب

إذا احاطت بك تجربة أو ضيقة ، فلا تضطرب ، ولا يملك عليك الحزن أو الضجر. فما أسهل أن تجوز الضيقة فى سلام قلبى وهدوء نفسى ، إن تذكرت العبارات الثلاث الآتية ، فى عمق وفى إيمان :

ربنا موجود - كله للخير - أنتظر الرب .

١ - شعورك بأن الله موجود يطمئنك من جهة انك لست واقفاً وحدك. فهناك مَن يسندك ، الله الذى قال لنا إنه حتى شعور رؤوسنا جميعها محصاة (مت ١٠ : ٣٠). الله الذى يحبك و يدافع عنك ، ولا يسمح أن يسلمك لأعدائك. قال الكتاب :

« الرب يقاتل عنكم ، وأنتم تصمتون » (خر ١٤ : ١٤)

فمهما أحاطت بك الضيقات ، اطمئن وقل فى نفسك : « ربنا موجود » إن كان عدوى قوياً ، فالله أقوى منه . وإن كان

الموضوع معقداً ، فالله قادر أن يحل كل مشكلة .

« غير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله » (لو ١٨ : ٢٧).

ضع الله بينك وبين الضيقة ، فتختفى الضيقة ويبقى الله المحب . ولا تضع الضيقة بينك وبين الله ، لئلا تختفى عنك المعونة الإلهية ، وتبقى الضيقة أمامك ، فتشكو وتتذمر...

يطمئنك أيضاً أن تقول لنفسك وسط الضيقة : « كله للخير » .

يوسف الصديق باعه اخوته كعبد ، ثم لفقت له امرأة فوطيفار تهمة باطلة والقى فى السجن . ومع ذلك آل كل ذلك إلى الخير. هم قصدوا به شراً ، والله قصد به خيراً ، فحول الشر إلى خير. حقاً يشجعنا هنا قول الرسول :

« كل الأشياء تعمل معاً للخير ، للذين يحبون الله » (رو ٨ : ٢٨).

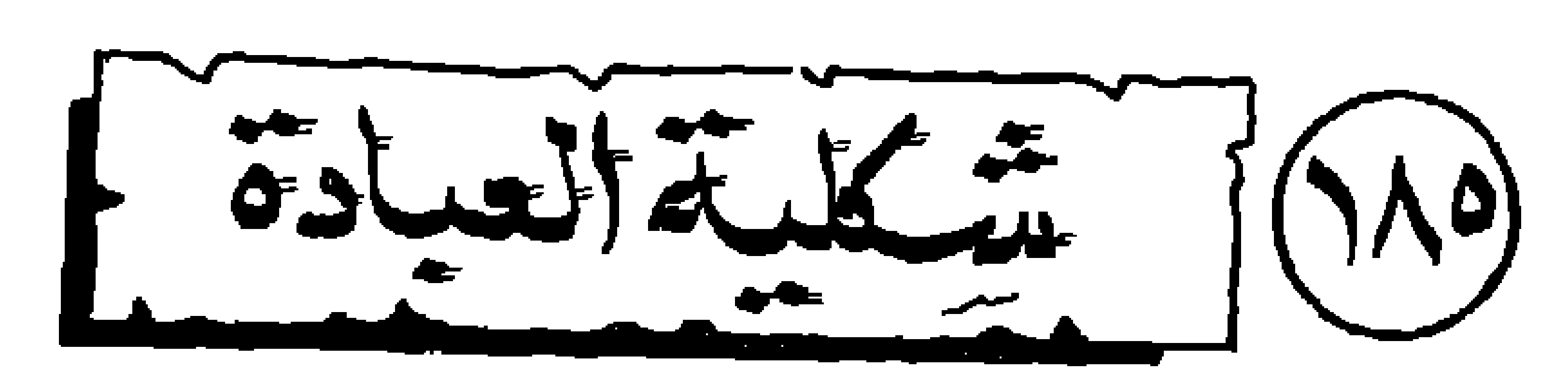
كم من ضيقات كانت نتيجتها خيراً . فعش بالرجاء والإيمان ، فى هذا الخير المقبل ، وليس فى الضيقة الحاضرة .

صلِّ إلى الله أن يكون معك و يقويك . وإن تأخرت الاستجابة ، لا تتضايق ولا تفقد سلامك . يعزيك قول المزمور:

« انتظر الرب . تقوّ وليتشدد قلبك ، وانتظر الرب » (مز ٢٧ : ٤).

قد يبدو أن الله تأخر ، ولكنه لا بد سيأتى ، ولو فى الهزيع الأخير من الليل ، فانتظره بقلب قوى .

احتمال الضيقة فضيلة كبيرة . وأكبر منها الفرح فى الضيقة .



١٨٥ شكلية العبادة

إن الله يا أخى لا يريد عبادتك ، إنما يريد قلبك . ولتكن العبادة مجرد تعبير عن مشاعر هذا القلب .

لذلك لام الله شعبه قائلاً : « يقترب إلىَّ هذا الشعب بفمه

ويكرمني بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً» (مت ١٥ : ٨).

هذه العبادة الخارجية يرفضها الله ، لأنه يناجينا على الدوام قائلاً : «يا ابنى اعطنى قلبك» (أم ٢٣ : ٢٦).

كان بنو إسرائيل يكثرون من الذبائح والمحرقات ، و يتممون طقوس العبادة الخارجية من أصوام وأعياد ومواسم، و يرفعون البخور، و يقدمون الصلوات، بينما كان قلبهم بعيداً عن الله سالكين فى الشرور والعبادة معاً .

لذلك وبخهم الله قائلاً : « **لماذا لى كثرة ذبائحكم ؟!** اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات... لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة: **البخور هو مكرهة لى!** لست أطيق الإثم والاعتكاف. **رؤوس شهوركم وأعيادكم أبغضتها نفسى، صارت علىَّ ثقلاً، مللت حملها! فحين تبسطون أيديكم، أستر وجهى عنكم! وان أكثرتم الصلاة لا أسمع! أيديكم ملآنة دماً...» (إش ١ : ١١- ١٥).**

وقال لهم على لسان ارمياء النبى : « محرقاتكم غير مقبولة، وذبائحكم لا تلذ لى» (إر ٦ : ٢٠). وكان النبى يعرف السبب

فى هذا ، لذلك قال للرب : «**أنت قريب من فمهم ، وبعيد عن كلاهم**» (إر ١٢ : ٢) . ولأجل هذا رفض الله عبادتهم ، وقال فى غضبه : «حين يصومون لا أسمع صراخهم ، وحين يصعدون محرقة وتقدمة لا أقبلهم . بل بالسيف والجوع والوباء أنا أفنيهم» .

وأنت يا أخى الحبيب ، حاذر أن تكون كالقبور المبيضة من الخارج ... تهتم بالعبادة والطقوس ، والذبائح والبخور ، تاركاً أثقال الناموس : الحق والرحمة ! (مت ٢٣ : ٢٣) .

لا تقس صلاتك بطولها ، وإنما بعمقها وطهارتها . لقد كانت صلاة الفريسى أطول بكثير من صلاة العشار ، ولكن الله لم يقبله لعدم نقاوة قلبه . لا تركز اهتمامك بالبخور الخارجى ، إنما نق القلب ، فتصعد صلاتك كرائحة بخور.. (مز ١٤١ : ٢٠) .



(١٨٦) رسالات متعبة

« طوبى لأقدام المبشرين بالخير » . ما أجمل أن يرسل الله بعضاً من قديسيه يحملون رسالة الفرح للناس ، مثلما أرسل المريمتين تبشران التلاميذ بقيامة الرب .

على أن هناك رسالات أخرى متعبة يأمر الرب رسله القديسين أن يوصلوها أحياناً للناس : مثال ذلك أرساله إيليا النبى لآخاب الملك قائلاً له : « ...فى المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت ، تلحس الكلاب دمك أنت أيضاً .. لأنك قد بعت نفسك لعمل الشر» (١مل ٢١ : ١٩ ، ٢٠) . وكذلك ارساله إشعياء النبى لحزقيا الملك قائلاً : « أوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش » (إش ٣٨ : ١) .

هناك رسائل تبكيت وتوبيخ يرسلها الله للناس على أفواه أنبيائه ، وقد تتعبهم وقد تؤلمهم وقد يكرهون الأنبياء بسببها ويضرونهم . ولكن رجال الله مضطرون أن يوصلوا كلمة الله ،

ويشهدون لكلمة الله مهما كانت مؤلمة.

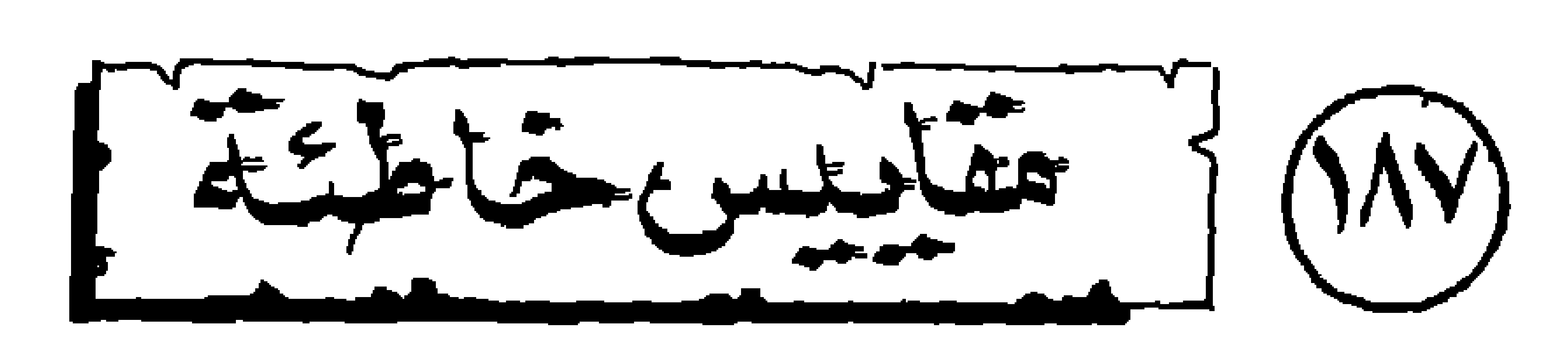
مثال ذلك إرمياء النبى الذى عاش فى عصر ساده الفساد، وكان عليه أن يوبخ الكل: الملوك والرعاة والكهنة ورجال الشريعة والأنبياء الكذبة (أر ٢ : ٨). فثاروا عليه وأثاروا الشعب، وقالوا: «حق الموت على هذا الرجل...» (إر ٢٦ : ١١).

وكم من أنبياء رجموا وقتلوا من أجل كلمة حق رآها الناس متعبة لهم. حتى وبخ الرب أورشليم قائلاً: «يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها...» (مت ٢٣ : ٣٧).

من أجل هذا صرخ إرمياء النبى قائلاً: «ويل لى يا أمى، **لانكِ ولدتنى إنسان خصام وإنسان نزاع لكل الأرض»** »إر ١٥ : ١٠). لقد نازعه الكل لأنه يحمل لهم توبيخ الرب وانذاراته...

إن الأنبياء الكذبة الذين كان يحاربهم إرمياء كانوا يتملقون الشعب قائلين سلام سلام حيث لا سلام (إر ٨ : ١١). أما نبى الرب فكان يبلغ الرسالة الإلهية متعبة، ولكنها

نافعة . هكذا كان أنبياء البعل يتملقون آخاب الشرير و يشجعونه على طريقه الخاطىء.. بعكس ميخا رجل الله . لذلك قال عنه آخاب ليهوشافاط لما نصحه أن يسأل الرب : «يوجد بعد رجل واحد لسؤال الرب به . **ولكنى أبغضه لأنه لا يتنبأ على خيراً بل شراً، وهو ميخا بن يمله**» (١مل ٢٢ : ٨). ونفذ آخاب رأى المتملقين ـ لا رأى ميخا الصريح ـ فهلك . وكان الأفضل له لو سمع رسالة ميخا المتعبة النافعة !!



(١٨٧) مقاييس خاطئة

لعله فى ما مر بنا من أعياد الشهداء، وأعياد الصليب ، وما يوحى بمعنى جميل عن القوة ، و يذكر بمقاييس أخرى خاطئة :

أيهما كان أقوى : المسيح المصلوب ، أم اليهود الذين صلبوه ؟!

لقد اهين السيد المسيح بأنواع إهانات عديدة، جلد وعلقوه على خشبة. ولكنه كان قوياً فى صلبه، استطاع أن يقهر الخطية والشيطان، ويفتح أبواب الفردوس. وكان أقوى من صالبيه الذين غلبتهم خطايا الظلم والقسوة والحسد والشهادة بالزور...!

أيهما كان أقوى : قايين القاتل أم هابيل المقتول ؟

إستطاع قايين أن يطرح هابيل أرضاً ويقتله. ومع ذلك لم يكن قايين قوياً. لقد غلبته خطايا الحسد والكراهية والقسوة.. أما هابيل المقتول فكان أسمى من هذا بكثير.

كثيراً ما يحسب الانتصار انه منتصر، ويزهو بذلك فى خيلاء وإعجاب بنفسه. ويكون فى حقيقة أمره مهزوماً..!

يكون مهزوماً من نفسه التى لم يستطع الانتصار على أهوائها، ومهزوماً من خطايا أخرى، ومن مقاييسه الخاطئة التى بواسطتها يتخيل النصرة حيث توجد الهزيمة..!

وذلك الذى يلطمك على خدك الأيمن، فتدير له الآخر:

هل يظن أنه قد انتصر عليك ؟! كلا. لقد هزمه غضبه وغيظه وعدم احترامه للآخرين، فسقط بضربك. كذلك الذى يشتمك

و يهينك . مسكين إن ظن أنه أقوى منك ! لقد هزمه قلبه ولسانه .

كل إنسان فى الدنيا يمكنه أن يغضب وأن يشتم، وأن يعتدى على الآخرين. ولكن الشخص القوى، هو الذى يستطيع أن يضبط أعصابه ولسانه وحواسه، أو أن يحتمل.

إن الذى يحتمل هو الأقوى . لذلك قال الرسول : « يجب علينا نحن الأقو ياء، أن نحتمل ضعف الضعفاء » (رو ١٥ : ١) .

هل يظن هيرودس انه كان أقوى من يوحنا المعمدان، لأنه قدم رأس يوحنا على طبق؟!

كلا ، بلا شك . لقد كان المقتول أقوى . وظل هيرودس يخشى يوحنا حتى بعد مقتله . ولما ظهر المسيح ، ظن هيرودس أنه يوحنا قد قام من الأموات ..

ما أعجب مقاييس الناس ! يظنون القوة حيث يوجد الضعف ! و يظنون النصرة حيث توجد الهزيمة ! إنها مقاييس خاطئة .

إنتصر يا أخى على نفسك . فقاهر نفسه خير من قاهر مدينة .

١٨٨ عنصر الحفظ

يمكن أن تشغل بعضاً من وقت فراغك بالحفظ .

ونعنى بذلك حفظ المزامير ، وحفظ الصلوات ، وحفظ آيات أو فقرات من الكتاب المقدس ، وحفظ الألحان والمدائح والترانيم وبعضاً من التسابيح من كتاب الأبصلمودية ... وغير ذلك .

وهناك عبارة ، طالما كنت أقولها لكثيرين وهى :

احفظوا المزامير ، تحفظكم المزامير . واحفظوا الإنجيل ، يحفظكم الإنجيل .

وتدريب الحفظ ، ليس هو فقط لشغل وقت الفراغ ، حيث يقضى الإنسان أيضاً وقتاً روحياً ، يتأمل فيه معانى وأعماق الكلام الذى يحفظه . إنما للحفظ فوائد أخرى عديدة ..

بالحفظ يستطيع الشخص أن يكمل صلواته فى أى وقت ... وفى أى وضع ، وفى أى مكان ، وفى وسط الناس ، دون احتياج إلى

كتاب يفتحه فتنكشف صلاته للآخرين! بالحفظ يستطيع أن يصلى وهو سائر فى الطريق، وهو فى وسائل المواصلات، وهو موجود وسط جماعات من الناس يتحدثون فى أمور لا تعنيه. فيجلس صامتاً، يحسبونه منصتاً لهم، بينما هو يصلى بقلبه سراً دون أن يشعر به أحد...

وبالحفظ يستطيع الإنسان أن يصلى فى الظلام... ويستطيع أن يسلى نفسه فى رحلة أو فى مسير طويل.

وينفعه الحفظ فى استخدام ما يحفظه، فى الخدمة والوعظ، أو فى الرد على الأفكار والمحاربات، وفى حفظ العقل نقياً مشغولاً بالله...

وكبرنامج مقترح للحفظ: يمكن أن يبدأ الشخص بالقطع المشتركة فى الأجبية، مثل صلاة الشكر، والمزمور الخمسين، والثلاثة تقديسات، وقدوس قدوس قدوس، وإرحمنا يا الله ثم إرحمنا... ثم بعد ذلك بعض المزامير حسبما يستسهل، وحسبما يوافق قلبه. ثم قطع الساعات، وأناجيلها، وتحاليلها.

وبالنسبة إلى الصغار: يمكن تحفيظهم كثير من الآيات القصيرة، وبعضها حسب الحروف الابجدية، وبعض الترانيم،

وبعض الألحان الكنسية، لأنهم يحبون الموسيقى والأناشيد. ثم بعض صلوات من الأجبية أو المزامير حسب مستواهم.

ويمكن عمل مسابقات للحفظ فى مدارس التربية الكنسية وفصول الشباب، وتوزيع جوائز على المتفوقين، وشهادات تقدير...

١٨٩ تحطيم المرايا

كما يتأمل الجسد شكله فى مرآة، ليطمئن على منظره، كذلك الروح لها مرايا كثيرة ترى بها شكلها، وتعرف حالتها كيف هى..

هناك مرآة تسمى « **محاسبة النفس** » . فان فتش الإنسان ذاته، وكان دقيقاً فى محاسبتها، حينئذ يعرف حقيقتها... ويصلحها.

ومرآة أخرى هى « **كلام الله** » . فالإنسان الذى يرى نفسه فى ضوء وصايا الله ، يعرف الميزان الحقيقى الذى يزن به أعماله .

وهناك مرآة أخرى هى « **التجارب** » . لأننا بالتجارب نُختبر...

مرآة رابعة هى « **إنتقادات الناس** » . فالإنسان كثيراً ما يكون مجاملاً لنفسه ، مبرراً لها . أما الناس فقد لا يجاملون... قد يتكلمون بصراحة ، فنعرف منهم حقيقتنا . وحتى إن غضبنا عليهم ، نكون قد عرفنا حقيقة أخرى فينا وهى الغضب . وهكذا تكون المرآة قد أدت عملها ...

هذه هى المرايا التى يرى فيها الإنسان حقيقته . **غير أن بعض الناس ، إن كشفت لهم المرآة عيباً فيهم يحتاج إلى إصلاح ، بدلاً من أن يصلحوه ، يحطمون المرآة ...!**

هؤلاء الناس : إن أظهرت لهم محاسبة النفس عيباً ، يرفضون أن يجلسوا إلى أنفسهم . وإن جلسوا يحطمون المرآة بالأعذار ، وتبرير النفس ، ومحاولة القاء التبعة على الآخرين ...! **وإن أظهر لهم كلام الله عيباً فيهم ، يحطمون هذه المرآة أيضاً ، بأن يطبقوا**

كلام الله على غيرهم، لا على أنفسهم، أو يرفضوا قراءة الكلمات. وإن أظهرت لهم التجارب حقيقتهم، يحطمون هذه المرآة بالتذمر... !

والمرآة الرابعة أيضاً يحطمونها ، فلا يقبلون كلمة انتقاد من أحد، ولا كلمة نصح، ولا كلمة إرشاد. ومَن يُظهر لهم عيباً ليصلحوه يتخذونه عدواً، ويحاربونه، ويحاولون تحطيمه، حتى يصمت، فيستريحوا... !

إن الذين يحطمون المرايا ، تبقى عيوبهم كما هى، ولا تنصلح ...

كإنسان مريض بالحمى ، يضع « الترمومتر» فى فمه. فإن أظهر له ارتفاعاً فى درجة حرارته، بدلاً من أن يعالج نفسه يحطم الترمومتر، ويبقى مريضاً!! مسكين هذا الترمومتر الصادق، إنه كغيره مرآة محطمة !!!

(١٩٠) إستخدام السلطان

فى تجربة السيد المسيح على الجبل قال له الشيطان: «إن كنت ابن الله فقل ان تصير هذه الحجارة خبزاً» (مت ٤: ٣).
وكان السيد المسيح يستطيع أن يحول الحجارة إلى خبز، فهو قادر أن يقيم من الحجارة أولاداً لإبراهيم، وهو الذى قال لليهود يوم دخوله أورشليم رداً على احتجاجهم بخصوص تسبيح الأطفال: «لو سكت هؤلاء لكانت الحجارة تنطق»...

ولكن السيد المسيح كان قد وضع أمامه مبدأ هاماً وهو عدم استخدام لاهوته من أجل راحته الجسدية، كان يمكنه بقوة لاهوته أن يجعل نفسه لا يجوع، ولا يعطش، ولا يتعب، ولا يتألم... ولو فعل ذلك لصار تجسده شكلياً!! لذلك رفض الرب أن يستخدم لاهوته من أجل راحته الجسدية.

ولكنه استخدم لاهوته من أجل راحة الناس كما حدث فى معجزة إشباع الجموع من الخمس خبزات.

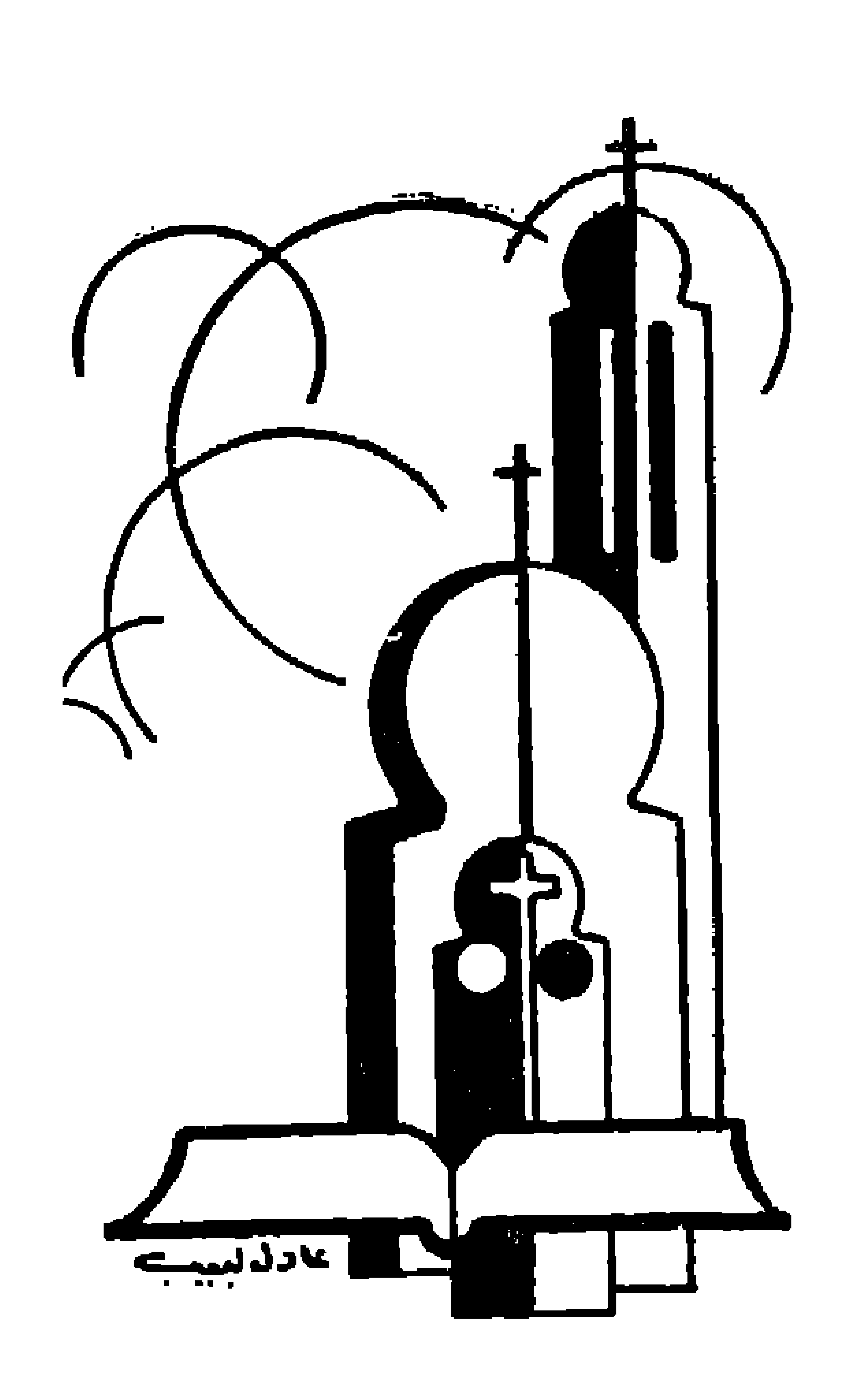
ويحمل قرار المسيح تصميماً آخر وهو البعد عن استخدام السلطان عموماً إلاّ فى الضرورة. لقد اعتدى عليه اليهود بكافة أنواع الاعتداءات: شتموه وأهانوه. وقالوا عنه انه أكول وشريب خمر، وقالوا انه ببعلزبول يخرج الشياطين، وقالوا انه سامرى و به شيطان، وقالوا انه كاسر للسبت، انه ناقض للناموس، وانه مجدف، وانه ضال... **وكان يسمع ويسكت. لم يستخدم سلطانه فى معاقبتهم.**

بل على العكس عندما ألح عليه تلميذاه أن يعاقب، رفض واعتبر ذلك تكراراً لتجربة الجبل تكراراً لمحاولة الروح الشرير أن يقنعه باستخدام سلطانه من أجل ذاته. حدث ذلك عندما رفضت إحدى بلدان السامرة أن تقبله. فقال له تلميذاه: «أتشاء يارب أن تنزل ناراً فتحرق هذه المدينة؟» فأجابهما فى عتاب.. «لستما تعلمان من أى روح أنتما»...

إن الرب يحب أن يبتعد على الدوام عن استخدام سلطانه. ما أكثر الذين يجدفون عليه فى أيامنا هذه، وما أكثر الذين ينكرون وجوده، ومن أكثر الذين يعصون أوامره، وما أكثر الذين يتهمون ويستهزئون. والله يترك كل هؤلاء، دون

أن يعاقب ودون أن يحطم !!

وكل الذين يحرضونه على إنزال نار من السماء لتأكل هؤلاء وأولئك، يجيبهم بنفس العبارة : « لستما تعلمان من أى روح أنتما » .



(١٩١) العاملون مع الرب

يكفى أن يتيقن الإنسان أنه يعمل مع الله، ثم بعد ذلك لا يليق به أن يعول هماً. الله الذى يعمل معه، هو سيدبر كل شيء ...

نحن لا ندافع عن أنفسنا، فالكتاب يقول: «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» إن «الحرب للرب». و«الرب يحكم للمظلومين» وهو «يقيم العدل على الأرض».

ونحن لا نعول أنفسنا. فالله هو المهتم بنا وبكل أحد. هوالذى يفجر من الصخرة ماءاً، «ويخرج من الجافى حلاوة ومن الآكل أكلاً»، ويشبع كل حى من رضاه، ويعول حتى «فراخ الغربان التى تدعوه» ...

ونحن لا نحرس أنفسنا، لأنه «إن لم يبن الرب البيت، فباطلاً تعب البناءون. وإن لم يحرس الرب المدينة، فباطلاً يسهر الحارس» ...

إن الله هو كل شيء لنا . هو حياتنا كلها . هو يتولى تدبير كل شيء. ونحن مجرد آلات فى يديه. **إننا نعمل عمله، ولكننا من أنفسنا لا نعمل. هو يعمل فينا، وهو يعمل بنا و معنا.**

والرب يفتح ولا أحد يغلق، ويغلق ولا أحد يفتح. هو المدبر للكون وليس البشر، وهو حكيم فى تدبيره. ونحن نرى عمل الرب فنفرح. لا نفحص ما هى صورة عمله، ولكن نبتهج لأنه يعمل...

سعيد هو الإنسان الذى يعمل مع الله، و يرى كيف يتولى الله تدبير كل شيء.

إن الله هو ضابط للكل. خلق الكون ولم يتركه، بل مايزال يدبره بنفسه، فى حكمة وفى عدل. **قد يترك الناس إلى حرية إرادتهم يعملون ما يشاءون، ولكنه «يكتب أمامه سفر تذكرة». ثم يتدخل ليقيم العدل على الأرض...**

عجيب أنت يارب، من مثلك ؟! لقد لمسنا يدك معنا فى كل عمل، فأصبحنا نسلمك حياتنا فى ثقة. لا نخاف شيئاً، ولا نخاف أحداً، لأنك أنت معنا... أنت رجاء مَن ليس له رجاء، ومعين مَن ليس له معين...

١٩٢ تخلي النعمة

حياة الإنسان الروحية ، تتوقف فى نجاحها أو فشلها ، على مدى عمل النعمة فيه، ومدى استجابته أو رفضه لعمل النعمة .

والنعمة تساعد الإنسان باستمرار ، تسنده لكى يسير فى الطريق الروحى ، وتنبهه وتقيمه إذا سقط .

ولكن النعمة الإلهية لا ترغم الإنسان على فعل الخير.

فماتزال حريته مكفولة وإرادته قائمة ، يشترك مع النعمة فى العمل ، أو لا يشترك ، أو يقاوم عمل النعمة فيه مقاومة تؤدى إلى سقوطه ، أو استمراره فى السقوط .

إذن فى بعض الأحيان يتخلى الإنسان عن مشاركة النعمة . وفى أحيان أخرى تتخلى النعمة عنه . لكنه لون من التخلى الجزئى . فالتخلى الكلى يؤدى حتماً إلى هلاك الإنسان .

فما هى أسباب هذا التخلى ؟ وما حكمته ؟

قد يكون سبب التخلى ، هو اهمال المؤمن ، وصده المستمر لعمل النعمة ، فتتخلى عنه لكى يشعر باحتياجه .

وهذا التخلى يقوده إلى عمق أكبر فى صلاته وفى صومه ، وفى توبته والتصاقه بالله .

وقد يكون التخلى بسبب الكبرياء ، أو تعاليه على الساقطين. فتتركه النعمة قليلاً فيسقط ، ويشعر بضعفه فلا يعود يتكبر، ويشعر بثقل الحرب على الساقطين، فيشفق عليهم، ولا يدينهم سواء فى السر أو العلن ...

وقد تتخلى عنه النعمة قليلاً ، ليختبر الحروب الروحية .. ويدرك مدى عمقها ، واحتياج المؤمن فيها إلى معونة إلهية ، لأنه لا يمكن أن ينتصر بذراعه البشرية بدون نعمة ..

وقد تتخلى عنه النعمة ليتعود الحرص والتدقيق ، أو ليتعود الصبر وانتصار الرب ...

والرب فى كل ذلك يقول للنفس البشرية «**لحيظة** تركتكِ ، وبمراحم عظيمة سأجمعكِ» (إش ٥٤ : ٧) .

(١٩٣) تعريفات

Definitions

كثير من الخلافات الفكرية يمكن حلها إذا ما توصلنا إلى تعريف سليم لبعض الكلمات موضع الخلاف.

١ ـ فمثلاً ما هو التعريف السليم لكلمة الحرية ؟

هل هى أن يفعل الإنسان ما يشاء بلا ضابط ؟

أم الحرية هى أن يكون الإنسان حراً ، بشرط أنه لا يتعدى على حريات الآخرين ولا على النظام العام؟

وإن أدركنا أن التعريف الأخير هو المقبول ، ندخل فى تعريف آخر وهو: **هل الشروط التى ذكرناها ، تعتبر قيوداً للحرية أم ضوابط ؟** وإن اعتبرناها ضوابط ، لا يكون هناك خلاف فى معنى الحرية ...

موضوع آخر يحتاج إلى دقة فى الفهم ، وهو :

ما هو التعريف السليم للطاعة ؟ أهى طاعة عمياء ؟

بعض آباء الاعتراف يفرضون طاعة تلغى شخصية المعترف! ولا يعطونه فرصة لمناقشة ما يقال له. بل قد يصفون هذه المناقشة بأنها لون من الكبرياء! وهكذا ينفذ ما لا يستريح له فكره، وما لا يستريح له ضميره!

ونحن لا نقبل الطاعة التى يثور عليها الضمير، لأنه «**ينبغى أن يُطاع الله أكثر من الناس» (أع ٥ : ٢٩).**

الطاعة إذن واجبة، ولكن فى نطاق وصايا الله.

والمناقشة بين المطيع والمرشد، لا يصح تعريفها بالكبرياء.

٣ - يثور إشكال فى موضوع الإيمان والأعمال بسبب التعريف:

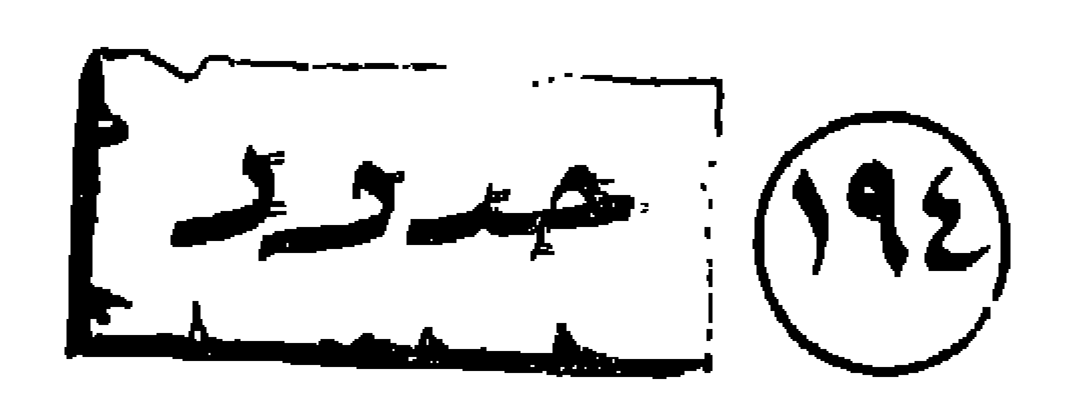
وإن أدركنا تعريف (الأعمال) يزول الإشكال: هل هى الأعمال السابقة للإيمان، أو هى أعمال الناموس، أو الذراع البشرى، أم هذه الأعمال هى الشركة مع الروح القدس بعد الإيمان؟ كذلك ما هو تعريف الإيمان؟ وهل هو العامل بالمحبة؟

٤ - (الإنسان) نفسه يحتاج اسمه هذا إلى تعريف ...

وبناء على هذا التعريف، تتوقف أمور كثيرة ...

فإن أدركنا أن الإنسان كائن حى له روح تتمتع بالخلود ، وان حياته تستمر بعد موته ، لأمكن أن يستعد لابديته ويحترم إنسانيته . وكذلك إن عرّفناه بأنه صورة الله ..

٥ ـ أمور أخرى كثيرة تحتاج إلى تعريف : مثل ما هى الخطية ؟ وما هى المتعة ؟ وما هو الحب ؟...



فى الطريق الروحى يقف عسكرى مرور ، وبيده علمان ، أحدهما أخضر والآخر أحمر ، ليعين ما يمر ، وما لا يمر . ويضع حدوداً بين الحلال والحرام ...

فهناك أسئلة كثيرة تدور بعقل الإنسان حول هذا :

١ ـ فمثلاً ما هى الحدود الروحية بين الصمت والكلام ؟ متى ينبغى للإنسان أن يصمت ، وأن يتكلم ؟ متى يعتبر الصمت

فضيلة ، ومتى ندان على صمتنا ؟

٢ ـ والمزاح مثلاً : متى يحذر ؟ ومتى لا يجوز؟ وما هو الحد الفاصل بين المزاح البرىء وغير البرىء ؟

٣ ـ كذلك ما هى الحدود الفاصلة بين الراحة والكسل ، وبين الحزم والقسوة، وبين الحب والشهوة، وبين الحرفية والتدقيق ، وبين التواضع وصغر النفس ؟؟؟

٤ ـ أسئلة أخرى فى موضوع الحدود : متى يجوز للإنسان أن يشكو، ومتى لا يشكو؟ متى يجوز له روحياً أن يطالب بحقه ؟ ومتى يتنازل عنه فلا يطالب ؟

متى ننتهر الخطاة ؟ ومتى يكون الانتهار مؤذياً لهم ؟

ليت عسكرى المرور يرفع إحدى الرايتين و يشرح أين المسيرة ؟ وأين حدود الخير والشر وسط ضباب الرؤية ؟

٥ ـ هل هذا الذى مات منتحراً ، كان عاقلاً بما يفعله ؟ فلا يجوز أن نصلى عليه كقاتل نفس . أم كان فاقد العقل تماماً ، لا تسرى المسئولية عليه ؟

٦ ـ وبالمثل قد نسأل : هل هذا الطفل يدرى ما يفعله ؟

وهل نحاسبه أو نعامله كمَن يدرى ؟ أم نمرر الأمر ببساطة كأن لم يفعل شيئاً ؟

أين الخير ؟ وأين الحق ؟ وأين واجب المربى ؟

٧ ـ وأحياناً يأتى المعترف إلى مرشده الروحى ويقول: لست أرى الطريق ماذا أفعل . وربما يقف المرشد حائراً مثله !

حقاً بماذا يرشده ؟ والخير ليس واضحاً تماماً ! فيقول له : [نصلى يا ابنى حتى يكشف الرب لنا] ...

حقاً ما أصعب عمل القاضى ، وعمل المرشد ، وعمل المربى ! وما أصعب عمل عسكرى المرور؟ متى يسمح بالسير دون حادث يحدث ، وهو يضمن أن الطريق ستوصل ؟!



١٩٥ إغراء العدد

كثيرون يجذبهم إغراء العدد ، أى عدد !

و يظنون أن النجاح فى الحياة يعتمد على العدد ..!

فبعض **الآباء الكهنة** يفرحون بعدد الذين يعترفون عليهم ، أو بعدد الذين يحضرون إلى الكنيسة . وليس بعدد التائبين من بين هؤلاء وأولئك . وقد يكون التائبون قليلين جداً !

وكثيرون من **خدام التربية الكنسية** ، يفرحون بعدد تلاميذهم . كما أن كثيراً من **الوعاظ** يظنون مقياس نجاحهم فى كثرة عدد الذين يحضرون اجتماعاتهم ... بينما قد يكون كثير جداً من هؤلاء السامعين فى اجتماعات الوعظ ، وفى دروس التربية الكنسية ، لم ينفذوا شيئاً مما سمعوه فى حياتهم الروحية الخاصة !

ليس مقياس النجاح هو العدد ، إنما المقياس الحقيقى هو العمق والروح ، وكل ما يتعلق بخلاص النفس .

ليس المهم إذن فى عدد المطانيات التى تؤديها كل يوم. وإنما الطريقة الروحية التى تؤدى بها : هل هى فى إنسحاق قلب، مصحوبة بصلوات حارة؟ أم ليس كذلك؟

وليس المهم فى عدد الاصحاحات التي تقرأها من الكتاب المقدس، إنما المهم هو الفهم والتأمل والتطبيق.

وما نقوله عن المطانيات والقراءة، نقوله أيضاً عن الصوم.

ليس المهم فى الكمية، إنما فى روحانية الصوم.

المظاهر الخارجية ليست هى الحكم على الأعمال الروحية. والعدد بلا شك هو من هذه المظاهر الخارجية ... إنما الحكم حقاً هو على القلب والروح وارتباطهما بالله.

وقد يكون اغراء العدد، هو حرب من الذات!

الذات التى تظن أنها قد تكبر عن طريق العدد!

إن السيد المسيح قد ركز على عدد قليل من التلاميذ، مجرد اثنى عشر تلميذاً، ثم سبعين آخرين. وكان يستطيع أن يتلمذ الآلاف ... ولكن الاثنى عشر كانوا أقوى من آلاف. وكانوا درساً

لنا فى التركيز..

متى يأتى الوقت الذى نهتم فيه بالقليل المتقن، أكثر من العدد الكبير بلا اتقان.

أما إن اجتمع الأمران معاً ، فهذا خير و بركة ..

١٩٦ مناسبات لن ننتهزها

هناك مناسبات هامة تمر على الإنسان ، يحسن أن يقف عندها ، ولا يدعها تمر بسهولة ، دون أن يأخذ فيها قراراً يرفع من شأن روحياته وعلاقته بالله. نذكر من بينها :

بداية عام جديد ، أو سنة جديدة من سنى عمره .

بدء فترة من الصوم المقدس .

حادثاً معيناً ترك فى نفسه أثراً ، وهزّه من الداخل .

مرضاً أرقده على الفراش ، يفكر فى مصيره .

مشكلة عويصة عرضت له ، ففكّر فى المعونة الإلهية .

عظة سمعها أو قرأها ، جذبته إلى الله بقوة .

كل هذه المناسبات ، غالباً ما تحمل صوت الله يناديه، ومعه قول الرسول : «إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم» (عب ٣) .

بل قد تحمل كل هذه المناسبات زيارة من زيارات النعمة ، تفتقد بها النفس ، لكى تصحو وتهتم .

فإن قبلها الإنسان بلا مبالاة ، أو بتأثر وقتى ينتهى بانتهاء المناسبة ، فإنه يفقد بلا شك حالة مشاعر روحية ربما لا يجدها مرة أخرى ، فيندم قائلاً عن صوت الله إليه :

« حبيبى تحول وعبر ... طلبته فما وجدته » (نش ٥ : ٦) .

حقاً ، كم من مناسبات مرّت علينا ولم ننتهزها ؟! كم يقظة روحية دعانا الله إليها ، ولم ننتهزها ؟!

النعمة موجودة ، تعمل فينا . ونحن لا نتجاوب معها !

إنها حقاً لمأساة ، أن تكون المحبة بيننا وبين الله ، هى محبة

من جانب واحد ، هو جانب الله .. !

لذلك « أنت بلا عذر أيها الإنسان » . لا تقل إن الله قد تركنى ، ولم يمد لى يد المعونة فى طريق الحياة معه . فهوذا الله قد تكلم فى قلبك مراراً ، فلم تسمع ، ولم تستجب . أتراه سيرغمك على محبته إرغاماً ؟!

المفروض فى علاقتك مع الله ، أن تكون محبة تلقائية ، ولا تحتاج إلى مثل هذه المناسبات !

فعلى الأقل إن نامت هذه المحبة ، فلتسمع من هذه المناسبات صوتاً يوقظها . وإن فترت تجد فيها ما يشعلها .

« ومن له أذنان للسمع فليسمع » (مت ١١ : ١٥) .



١٩٧ طبيعتك

لا تقل إذا أخطأت : ماذا أفعل ، طبيعتى شريرة !

فطبيعتك ليست شريرة . إنما الشر دخيل عليها ..

لقد خلق الله الإنسان طاهراً بسيطاً ، حتى أن آدم وحواء كانا عريانين فى الجنة ، وهما لا يعرفان (تك ٢) .

ثم سقط آدم وحواء بغواية الحية ، وليس بفساد الطبيعة . وعرف الإنسان الشر . وبقى الشر دخيلاً عليه ، لأنه لم يكن من طبيعته الأصلية .

ثم قدس المسيح طبيعتنا ، حينما اتحد بها فى بطن العذراء . وتجددت هذه الطبيعة فى المعمودية باستحقاقات الدم الكريم .

وصرنا أعضاء فى جسد المسيح ، أى الكنيسة . وصرنا مسكناً للروح القدس بسر المسحة المقدسة . ونلنا مواهب العهد الجديد التى

لم تكن لنا من قبل . وبقى الشر دخيلاً علينا .

حقاً ، ما أجمل قول الأب الكاهن فى القداس الغريغورى :

« وباركت طبيعتى فيك » . إذن صارت طبيعة مباركة .

حقاً ، إنها مازالت طبيعة قابلة للميل ، بحكم حرية الإرادة . ولكن هذا الميل ليس فرضاً عليها ، وليس السقوط جزءاً من طبعها . ويمكن توجيه الإرادة إلى الخير .

وبهذه الطبيعة البشرية ، استطاع آباؤنا القديسون أن يصلوا إلى درجات عليا فى محبة الله ، بنفس طبيعتنا ...

ويمكن فى ذلك قراءة سير الآباء الرهبان والمتوحدين ، وسير الآباء السواح ، وسير الشهداء والمعترفين وأبطال الإيمان ، وقصص الابرار فى كل جيل ، بتوليين ومتزوجين ...

حتى الذين انحرفوا وسقطوا ، ساعدتهم نفس الطبيعة على التوبة ، والنمو إلى درجات عالية فى حياة القداسة .

هؤلاء التائبون نفضوا الشر الذى كان دخيلاً على طبيعتهم ، وعادوا إلى النقاوة التى خلقهم الله بها منذ البدء ، بل عادوا إلى القداسة التى يريدها الرب لهم .

إن الخطيئة قد تفسد طبيعتك . وتوالى السقوط قد يجعل الخطيئة طبعاً لك ، وليس طبيعة ... ولكن يبقى كل هذا دخيلاً على الصورة التى خلقك الله بها ، وأعادك إليها .

إرجع إلى هذه الصورة المقدسة ، فهى طبيعتك الأصلية .

١٩٨ توالى السقوط

يمكن بسبب الضعف أن يسقط الإنسان ، فهو ليس معصوماً . ولكن عليه أن يتوب ، و يأخذ من سقطته درساً ، حتى لا يعاود السقوط ، عملاً بقول أحد القديسين :

لا أتذكر أن الشياطين أطغونى فى خطية واحدة مرتين .

وهذه هى التوبة الحقيقية ، أن الإنسان لا يعود إلى الخطية التى تاب عنها . وكل قصص القديسين التائبين تشير إلى هذا المعنى : أن التوبة كانت خطاً فاصلاً بين حياتين ، فلم يعودوا إلى الحياة القديمة الخاطئة .

إنها ليست توبة حقيقية ، أن الإنسان كلما تاب يعود إلى سقوطه مرات عديدة ، كأن لم يتب !

إن توالى السقوط له خطورته وله دلالاته :

إنه يدل على عدم جدية الحياة مع الله ... وربما يدل على اللامبالاة والاستهتار بالقيم الروحية.

ويدل على أن القلب لم يتنق بعد ، ومازال فيه محبة الخطية ، مع الضعف ، والانقياد إليها .

وتوالى السقوط يدل على عدم فهم للاعتراف بالخطية ، كما لو كان هو مجرد رغبة فى التخلص من عقوبة الخطية ، دون التخلص من الخطية ذاتها .

وتوالى السقوط يضعف هيبة الإنسان أمام الشياطين :

ويعطيهم سلطاناً عليه إذ يكتشفون عدم قدرته على مقاومة الخطايا ، أو عدم رغبته فى البعد عنها ..!

وتوالى السقوط قد يحول الخطية إلى عادة ، أو إلى طبع ، ويجعل جذورها راسخة فى القلب والعقل.

وبتكرارها تكمن فى العقل الباطن ، وتصبح مصدراً للأحلام والأفكار والظنون والشهوات . بل قد تصير خطراً على الإنسان ، إذا ما تحولت إلى أعمال غير إرادية ، أو إلى عبودية للخطية !!

لأنه كلما سقط الإنسان ، تصبح إرادته أضعف ...

وقد تصبح قابليته لحياة البر أقل . وكذلك قد يصبح تأثره بالوسائط الروحية أقل ، أو لا يقبلها !

وحتى مع كل هذا ، نعمة الله مستعدة أن تقيمه إن أراد . ولكن طريقه إلى التوبة يكون صعباً ..

١٩٩ التردد

التردد هو مرض نفسى ، أو ضعف فى الشخصية .

و يقول القديس يعقوب الرسول : « رجل ذو رأيين هو متقلقل فى جميع طرقه » (يع ١ : ٨) .

وقد يقول المتردد ، إننى أفكر وأدرس ... !

ولكن شتان بين عمق التفكير ، والتردد فى التفكير .

فرق بين إنسان يدرس فى عمق ، وبين آخر يعدل فى تفكيره إلى رأى ، ثم يتركه إلى غيره ، ثم يرجع إلى رأيه الأول ، ثم يتركه ، ولا يستقر على حال ...

وربما يكون التردد سببه الخوف . وللخوف أسباب :

ربما يكون الخوف من الفشل أو من الخطأ هو الدافع إلى التردد . وقد يكون الخوف من الضعف وعدم القدرة ، أو الخوف من النتائج والوقوع فى مسئولية . أو يكون هو الخوف من سوء الإختيار، والمعروض أكثر من حل...

كإنسان فى مفترق الطرق ، ويخاف من السير فى طريق يتيهه !

وقد يكون سبب التردد عدم الثقة بالنفس .

فالمتردد ربما يكون إنساناً لم يتعود الاعتماد على نفسه، ولا الثقة بنفسه . فهو لا يثق بتفكيره، ولا بقراره، ولا بحسن إختياره ، ولا يثق بقدرته . وليست له خبرة ليثق بخبرته ، وربما ليست له معرفة ليثق بمعرفته . إنه صورة إنسان..

وربما يكون سبب التردد نقص فى الشجاعة والإقدام.

فهو لا يستطيع البت فى الأمور . كلما أقدم تخونه شجاعته . غالباً ما تكون إرادته ضعيفة . كلما يحزم أمره يجد الأمور أمامه متساوية ، فلا يدرى أيها يختار. فهو غير متأكد من النتائج ، وربما من الوسائل أيضاً...

فالتردد من أسباب الحيرة ، ربما لعدم الفهم .

ربما يكون أمامه أمران كلاهما خير ، ولكن أيهما هو الأفضل ؟ أو أمران كلاهما شرّ، ولكن أيهما أقل شر؟ أو أمامه أمر لا يدرى أهو خير أم شر؟ فالرؤية غير واضحة .

وربما من أسباب التردد كثرة المشيرين والناصحين .

فالذى له مرشد واحد ، ما أسهل أن يقوده فى طريق واحد . أما الذى يسأل كثيرين ، فمن الممكن أن يقوده كل مرشد إلى طريق يخالف غيره ، أو ينصحه بنصيحة عكس نصيحة الآخر . وهكذا يقف متردداً بين النصائح المتعارضة ، لا يعرف أيها أفضل

وقد يكون السبب قراءات متناقضة تربك تفكيره...



إذا أردت أن تكون عادلاً فى أحكامك على الناس ، ينبغى باستمرار أن تستمع إلى الطرف الآخر ، ولا تأخذ الحقائق من جانب واحد فقط .

فمن حق كل إنسان أن يوضح موقفه . ومن حقه أن يدافع عن نفسه فى كل ما ينسب إليه . ولا يجوز لنا أن نحكم على أحد بمجرد السماع ، أو بمجرد ما يقال عنه .

ربما الذى تحدث ضده ، لم ير بنفسه ، أو لم يسمع المعلومات من مصدر وثيق . أو ربما فهم الأمور بطريقة خاطئة . وربما يكون قد أضاف على ما سمعه تعليقه الخاص ، واستنتاجاته . وقد لا تكون هذه الاستنتاجات سليمة ، وهناك خلفيات لا يعرفها .

إن قالت لك امرأة إن زوجها يعاملها معاملة سيئة ، إسألها : لماذا ؟ وماذا فعلتِ حتى يعاملكِ هكذا ؟ ثم إسأل الطرف الآخر : ماذا حدث ؟ ولماذا ؟ ... و بهذا تأخذ صورة متكاملة عن الموضوع ، وتكون قد استمعت إلى الطرفين .

تصور أن الله نفسه العالم بكل شيء ، سأل حواء وآدم والحية ، قبل أن يصدر حكمه ... وسأل أيضاً قايين ...

لقد أعطى الطرف الآخر فرصة ليتحدث عن نفسه ، و يوضح موقفه . وأن يدافع عن نفسه إن أراد ...

وسؤال الطرف الآخر ، ليس القصد منه مجرد معرفة الحقيقة ، أو معرفتها من جميع جوانبها ، أو معرفة ظروفها وأسبابها ...

إنما سؤال الطرف الآخر ، قد يعطيه الفرصة للاعتذار، أو لتصحيح موقفه، ومعالجة نتائج تصرفه ...، وأضافة فهم إلى فهمه ...

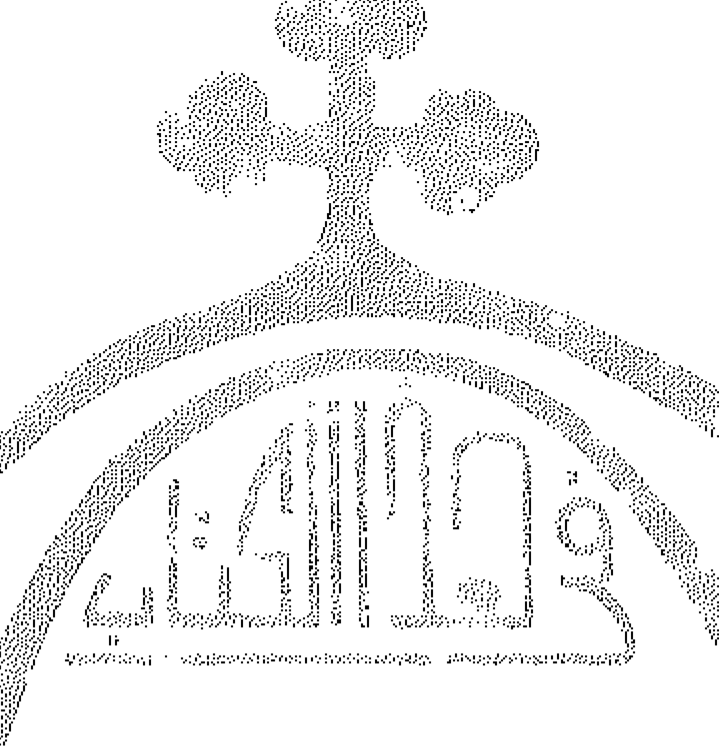
أبيجايل لما تحدثت مع داود ، أعطته فرصة أن يرجع عن قراره ولا ينتقم لنفسه (١صم ٢٥ : ٣٣) . وناثان النبى لما تحدث مع داود ، أعطاه فرصة أن يفهم عمق خطيئته ، وأن يعترف قائلاً : « أخطأت إلى الرب » (٢صم ١٢ : ١٣) .

وفى علاقاتك أنت مع الناس ، حاول أن تفهم الطرف الآخر، حتى إن يعارضك. إفهم وجهة نظره، ونوع عقليته ونفسيته ، لكى تعرف كيف تتعامل معه ...

لا تنظر إلى الطرف الآخر باستمرار ، كعدو . إنما حاول أن تدرس وجهة نظره، وتتفاهم معه ، وتصل إلى حل ، فى حب .

فهرســـت

صـــفحة



بوصول هذا الجزء الرابع إليك ، تكون قد كملت من هذا الكتاب ٢٠٠ كلمة منفعة .



وهى كلمات موجزة تقع كل منها فى صفحتين صغيرتين أو أكثر...

تمثل فى مجموعها منهجاً روحياً مركزاً ، لمَنْ ليس لديه وقت لقراءة الكتب المفصلة المطوّلة .

أود بهذا الكتاب أن أختم هذه المجموعة لنلتقى فى كتب أخرى .

يمكنك أن تقتنى الأجزاء الناقصة منها لتكمل مجموعتك .

